

صور من حياة الصحابيَّات

د. عبد الرحمن رأفت الباشا

مصدر هذه المادة :

الكتيبات الإسلامية

www.ktibat.com

دار الأحياء الإسلامية

في هذا الكتاب

- حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ ٦
- صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ خطأ! الإشارة المرجعية غير معروفة.
- فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ ٢٦
- أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ ٣٦
- نَسِيبَةُ الْمَازِنِيَّةُ ٤٦
- رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ خطأ! الإشارة المرجعية غير معروفة.
- الْغُمَيْصَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ خطأ! الإشارة المرجعية غير معروفة.
- أُمُّ سَلَمَةَ خطأ! الإشارة المرجعية غير معروفة.

حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ

أُمُّ الرَّسُولِ الْإِعْظَمِ ﷺ مِنَ الرِّضَاعِ

هذه السيِّدة الرِّصان الرِّزان^(١) أثيرة لدى كل مسلم ...

عزيزة على كل مؤمن ...

فمن تديبها الطاهرين رضع الغلام السعيد محمد ابن عبد الله
صلوات الله وسلامه عليه ...

وعلى صدرها المفعم بالحبّة غفا ...

وفي حجرها الطافح بالحنان درج ...

ومن فصاحتها وفصاحة قومها بني «سعدٍ» نهل ...

فكان من أبين الأبيناء^(٢) كلاماً ...

وأفصح الفصحاء نطقاً.

إنّها السيِّدة الجليلة حليلة السَّعْدِيَّةِ أُمُّ نَبِيِّنا مُحَمَّدٍ - صلوات الله
وسلامه عليه - من الرِّضَاعِ.

ولإرضاع السيِّدة السَّعْدِيَّةِ للطفل المبارك الذي ملأ الدنيا برراً
ومرحمةً ...

وأترعها خيراً وهدياً ...

(١) الرزان: الرصينة الرزينة.

(٢) الإبيناء: جمع بَيْن، وهو ما يفصح عن كلامه بأحسن التبيين.

وزانها خلقاً وفضلاً ...
 قصةً من روائع القصص، حكتها حليلة السَّعدِيَّة ببيانها المشرق
 إلَّانيق الجذاب ...
 وأسلوبها المتألق الرَّشيق الممتع.
 فتعالوا نستمع إليها ...
 فخيرها عن النَّبيِّ الكريم ﷺ من روائع الأخبار.

قالت حليلة السَّعدِيَّة:

خرجت من منازلنا أنا وزوجي^(١) وابن لنا صغيرٌ نلتمس
 الرُّضْعاء^(٢) في مكَّة، وكان معنا نسوةٌ من قومي بني «سعدٍ» قد
 خرجن لمثل ما خرجت إليه.
 وكان ذلك في سنةٍ قاحلةٍ مجدبةٍ^(٣) ...
 أبيضت الزَّرْع ...
 وأهلكت الضَّرْع فلم تبق لنا شيئاً.
 وكان معنا دأبتان عجفاوان^(١) مستَّتان لا ترشحان^(٢) بقطرة من
 لبنٍ فركبت أنا وغلامي الصَّغير إحداهما ...

(١) زوجها: هو الحارث بن عبد العزى السَّعدي ويكنى بأبي كبشة، أما ابنها: فاسمه عبد الله.

(٢) نلتمس الرُّضْعاء: نبحث عن المولدين الجدد.

(٣) مجدبة: لا مطر فيها ولا نبات.

أمَّا زوجي فركب الأخرى، وكانت ناقتة أكبر سنًا وأشدَّ هُزالًا.
 وكنا - والله - ما ننام لحظة في ليلنا كلّ لشدة بكاء طفلنا من
 الجوع، إذ لم يكن ثديي ما يغنيه...
 ولم يكن في ضرعي ناقتنا ما يغذيه...
 ولقد أبطأنا بالركب بسبب هُزال أتاننا^(٣) وضعفها فضجر رفاقنا
 منّا...

وشقَّ عليهم السَّفر بسبينا.
 فلمَّا بلغنا مكةً وبَحَثْنَا عن الرُّضْعاء وقعت في أمر لم يكن
 بالحسبان... ذلك أنه لم تبق امرأةٌ إلَّا وعرض عليها الغلام الصَّغير
 محمَّد بن عبد الله...

فكنَّا نأباه لأنَّه يتيِّم، وكُنَّا نقول:
 ما عسى أن تنفعنا أمُّ صبيٍّ لا أب له؟! ...
 وما عسى أن يصنع لنا جدُّه؟! ...

ثمَّ إنَّه لم يمض علينا غير يومين اثنين حتَّى ظفرت كلُّ امرأةٍ معنا
 بواحد من الرُّضْعاء... أما أنا فلم أظفر بأحدٍ... فلمَّا أزمعنا
 الرِّحيل قلت لزوجي:

(١) العجف: الهزال.

(٢) لا ترشحان: لا تقطر ضروعها بقطرة لبن.

(٣) إلَّتان: أنثى الحمار.

إِنِّي لأكره أن أرجع إلى منازلنا وألقى بني قومنا خاوية
الوفاض^(١) دون أن آخذ رضيعاً، فليس في صُوبِجاتي امرأةٌ إلاَّ ومعهما
رضيعٌ.

والله لأذهبنَّ إلى ذلك اليتيم، ولأخذنه.

فقال لي زوجي:

لا بأس عليك، خذيه فعسى أن يجعل الله فيه خيراً فذهبت إلى
أمِّه وأخذته ...

ووالله ما حملني على أخذه إلاَّ أَنِّي لم أجد غلاماً سواه.

فلما رجعت به إلى رحلي وضعته في حجري، وألقمته ثديي،
فدرَّ عليه من اللبن ما شاء الله أن يدرَّ بعد أن كان خاوياً خالياً...

فشرب الغلام حتَّى رَوِي

ثمَّ شرب أخوه حتَّى رَوِي أيضاً، ثمَّ ناما...

فاضَّجت أنا وزوجي إلى جانبهما لننام بعد أن كنَّا لا نحظى
بالنوم إلاَّ غراراً^(٢) بسبب صبيِّنا الصغير.

ثمَّ حانت من زوجي التفاتةٌ إلى ناقتنا المسنَّة العجفاء...

فإذا ضرعاها حافلان ممتلئان...

(١) خاوية الوفاض: الوفاض هو جلدة توضع تحت الرحى لتلقى الطحين، وخالية
الوافاض: كناية عن الحاجة الشديدة والإفلاس التام.

(٢) غراراً: قليلاً.

فقام إليها دهشاً، وهو لا يصدّق عينيه وحلب منها وشرب.
ثم حلب لي فشربت معه حتّى امتلأنا رياءً وشبعاً.
وبتنا في خير ليلة.

فلمّا أصبحنا قال لي زوجي:
أتدريين يا حليلة أُنّك قد ظفرت بطفل مبارك؟!
فقلت له:

إنّه لكذلك وإني لأرجو منه خيراً كثيراً.

ثمّ خرجنا من مكّة فركبت أتاننا المسنّة ...
وحملته معي عليها؛ فمضت نشيطة تتقدّم دوابّ القوم جميعاً
حتّى ما يلحق بها أيّ من دوابّهم.
فجعلت صواحي يقلن لي:
ويحك يا ابنة أبي ذؤيب، تمهّلي علينا ...
أليست هذه أتانك المسنّة التي خرجتم عليها؟!
فأقول لهنّ: بلى... والله إنّها هي.
فيقلن: والله إنّ لها لشأناً.

ثمّ قدمنا منازلنا في بلاد بني «سعد»، وما أعلم أرضاً من أرض
الله أشدّ قحطاً منها ولا أقسى جدباً.

لكنَّ غنمنا جعلت تغدو إليها مع كلِّ صباح، فترعى فيها ثمَّ
تعود مع المساء ...

فنحلب منها ما شاء الله أن نحلب، ونشرب من لبنها ما طاب لنا
أن نشرب، وما يحلب أحدٌ غيرنا من غنمه قطرةً.
فجعل بنو قومي يقولون لرعيانهم:

ويلكم ... اسرحوا بغنمكم حيث يسرح راعي بنت أبي ذؤيب.
فصاروا يسرحون بأغنامهم وراء غنمنا؛ غير أنَّهم كانوا يعودون
بها وهي جائعةٌ ما ترشح لهم بقطرةٍ.
ولم نزل نتلقَّى من الله البركة والخير حتَّى انقضت سنتا رضاع
الصبيِّ ...

وتمَّ فطامه ...

وكان خلال عاميه هذين ينمو نموًّا لا يشبه نمو أقرانه ...
فهو ما كاد يتم سنتيه عندنا حتَّى غدا غلامًا قويًّا مكتملًا.

عند ذلك قدمنا به على أمِّه، ونحن أحرص ما نكون على مكثه
عندنا، وبقائه فينا، لما كنَّا نرى في بركته، فلمَّا لقيت أمُّه طمأننتها
عليه وقلت:

ليتك تتركين بُنيَّ عندي حتَّى يزداد فتوةً وقوَّةً ...
فإني أخشى عليه وباء مكَّة ...
ولم أزل بها أقنعها وأرغبها حتَّى ردَّته معنا ...

فرجعنا به فرحين مستبشرين.

ثم إنه لم يمض على مقدم الغلام معنا غير أشهر معدودات حتى وقع له أمر أخافنا ... وأقلقنا... وهزنا هزاً.

فلقد خرج ذات صباح مع أخيه في غنيماتٍ لنا يرعاها خلف بيوتنا؛ فما هو إلا قليلٌ حتى أقبل علينا أخوه يعدو، وقال: الحقاً بأخي القرشي، فقد أخذه رجلان عليهما ثيابٌ بيضٌ فأضجعه... وشقاً بطنه...

فانطلقت أنا وزوجي نغدو نحو الغلام، فوجدناه منتقع الوجه^(١) مرتجفاً...

فالتزمه زوجي، وضممته إلى صدري... وقلت له: مالك يا بُني؟!..

فقال: جاءني رجلان عليهما ثيابٌ بيضٌ فأضجعاني، وشقاً بطني، والتمسا شيئاً فيه، لا أدري ما هو ثم خليا، ومضيا. فرجعنا بالغلام مضطربين خائفين.

فلما بلغنا خباءنا التفت إليّ زوجي وعيناه تدمعان، ثم قال:

(١) انتقع وجهه: أي تغير لونه.

إِنِّي لأخشى أن يكون هذا الغلام المبارك قد أصيب بأمر لا قبل لنا برده

فألحقه بأهله، فإنَّهم أقدر منَّا على ذلك.

فاحتملنا الغلام ومضينا به حتَّى بلغنا مكَّة، ودخلنا بيت أمِّه، فلمَّا رأتنا حدَّقت في وجه ولدها، ثمَّ بادرتني قائلة:

ما أقدمك بمحمَّد يا حليلة وقد كنت حريصةً عليه؟! ...
شديدة الرِّغبة في مكَّته عندك!! فقلت: لقد قوي عوده

واكتملت فتوتَه

وقضيت الذي عليَّ نحوه، وتخوفت عليه من الأحداث؛ فأدَّيته إليك

فقالت: اصدقيني الخبر فما أنت بالتي ترغب^(١) عن الصَّبِّ لهذا الذي ذكرته ...

ثمَّ مازالت تلحُّ عليَّ ولم تدعني حتَّى أخبرتها بما وقع له، فهذأت ثمَّ قالت:

وهل تخوِّفت عليه الشَّيطان يا حليلة؟.

فقلتُ: نعم.

فقالت: كلاً، والله ما للشَّيطان عليه من سبيل ...

(١) ترغب عنه: تزهد به ولا تريده.

وإنَّ لابني لشأنًا ... فهل أخبرك خبره؟.

فقلتُ: بلى...

قالت: رأيت - حين حملت به - أنَّه خرج منِّي نورٌ أضاء لي
قصور «بصرى» من أرض الشَّام ...
ثمَّ إنِّي حين ولدته نزل واضعًا يديه على الأرض، رافعًا رأسه إلى
السَّماء ...

ثمَّ قالت: دعيه عنك، وانطلقِي راشدةً ...
وجزيت عنَّا وعنه خيرًا.

فمضيت أنا وزوجي محزونين أشدَّ الحزن على فراقه ... ولم يكن
غلامنا بأقلَّ منَّا حزنًا عليه، وأسىً ولوعةً على فراقه.

وبعدُ ... فلقد عاشت حليلة السَّعدية حتَّى بلغت من الكبر
عتيًا^(١) ...

ثمَّ رأت الطِّفل اليتيم الذي أرضعته، قد غدا للعرب سيِّداً ...
وللإنسانية مرشداً ... وللبشرية نبياً ...
ولقد وفدت عليه بعد أن آمنت به وصدَّقت بالكتاب الذي أنزل
عليه ...

(١) عتياً: جاوزت حداً كبيراً من العمر.

فما إن رآها حتّى استطار بها سروراً، وطفق يقول:
«أُمِّي...أُمِّي...».

ثمّ خلع لها رداءه، وبسطه تحتها، وأكرم وفادتها أبلغ الأكرام،
وعيون الصّحابة تنظر إليه وإليها في غبطة وإجلالٍ ...

صلوات الله وسلامه على محمّد البرّ الوفيّ ...

صاحب الخلق الكريم ...

ورضوان الله على السيّدة حلّيمة السّعديّة ...

ظئر^(١) النّبيّ العظيم ﷺ^(*) ...

(١) الظئر: هي المرضعة غير الأم.

(*) للاستزادة من أخبار حلّيمة السّعديّة انظر:

١- تاريخ الطبري: ٩٧٠/٢ وانظر الفهارس في العاشر.

٢- الطبقات الكبرى: ١١٠/١، ١٥١ و٤/٥٠.

٣- حياة الصحابة: انظر الفهارس في الرابع.

٤- الاستيعاب «على هامش الإصابة»: ٤/٢٧٠.

٥- السيرة لابن هشام: انظر الفهارس.

٦- الإصابة في تمييز الصحابة: ٤/٢٧٤ «الترجمة»، ٢٩٩٠.

٧- أعلام النساء لكحالة: ١/٢٩٠.

٨- صفوة الصفوة: ١/٥٧.

٩- ابن كثير: ٢/٢٧٣.

١٠- أسد الغابة: ٧/٦٧.

١١- دلائل النبوة: ١١١.

صفية بنت عبد المطلب

« صفية أول امرأة مسلمة قتلت مشركاً دفاعاً عن دين الله »

من هذه السيدة الجزلة الرزان^(١) التي كان يحسب لها الرجال

ألف حساب؟ ...

من هذه الصحابية الباسلة التي كانت أول امرأة قتلت مشركاً في

الإسلام؟ ...

من هذه المرأة الحازمة التي أنشأت للمسلمين أول فارسٍ سلَّ

سيفاً في سبيل الله؟ ...

إنَّها صفية بنت عبد المطلب الهاشمية القرشية عمّة رسول الله ﷺ.

اكتنف المجد صفية بنت عبد المطلب من كلِّ جانب:

فأبوها، عبد المطلب بن هاشم جدُّ النبي ﷺ وزعيم قريش

وسيدها المطاع.

وأُمُّها، هالة بنت وهبٍ أخت آمنة بنت وهب والدّة الرسول

ﷺ.

وزوجها الأوّل، الحارث بن حرب أخو أبي سفيان ابن حرب

زعيم بني «أميّة»، وقد توفيَّ عنها.

١٢- المحرر: ١٠، ١٣٠.

(١) الجزلة: أصلية الرأي، والرزان: الرصينة الرزينة.

وزوجها الثاني، العوّام بن خويلد أخو خديجة بنت خويلد سيّدة نساء العرب في الجاهليّة، وأولى أمّهات المؤمنين في الإسلام. وابنها الزُّبير بن العوّام حوارِيُّ رسول الله ﷺ. أفبعد هذا الشَّرَف شرفٌ تطمحُ إليه النفوس غير شرف الإيمان؟!.

لقد توفّي عنها زوجها العوّام بن خويلد وترك لها طفلاً صغيراً هو ابنها «الزُّبير» فنشأت على الخشونة والبأس ... وربّته على الفروسيّة والحرب ... وجعلت لعبته في بري السّهام وإصلاح القسيّ. ودأبت على أن تقذفه في كلِّ مخوفة^(١) وتقحمه^(٢) في كلِّ خطر... فإذا رآته أحجم أو تردّد ضربته ضرباً مبرّحاً، حتّى إنّها عوتبت في ذلك من قبل أحد أعمامه حيث قال لها: ما هكذا يُضرب الولد ... إنّك تضربينه ضرب مبعضةٍ لا ضرب أمّ؛ فارتجزت^(٣) قائلةً:

(١) مخوفة: موقف يخاف منه.

(٢) تُقحمه: تدفعه وتدخله.

(٣) ارتجزت: قالت شعراً على بحر الرجز.

مَنْ قَالَ أَبْغَضْتُهُ فَقَدْ كَذَبَ

وَأِنَّمَا أَضْرِبُهُ لِكَيْ يَلْبَ^(١)

وَيَهْزِمَ الْجَيْشَ وَيَأْتِيَ بِالسَّلْبِ

ولما بعث الله نبيّه بدين الهدى والحقّ، وأرسله نذيراً وبشيراً
للنّاس، وأمره بأن يبدأ بذوي قُرباه، جمع بني عبد المطلب ...
نساءهم ورجالهم وكبارهم وصغارهم، وخاطبهم قائلاً:
(يا فاطمة^(٢) بنت محمّد، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بني عبد
المطلب إنّي لا أملك لكم من الله شيئاً).

ثمّ دعاهم إلى الإيمان بالله، وحضّهم على التصديق برسالته ...
فأقبل على النور الإلهيّ منهم من أقبل، وأعرض عن سنّاه^(٣) من
أعرض؛ فكانت صفية بنت عبد المطلب في الرّعيّل^(٤) الأوّل من
المؤمنين المصدّقين ... عند ذلك جمعت صفية المجد من أطرافه:
سُودد الحسب، وعزّ الإسلام.

(١) يلب: يصبح لبيّاً، والليّب: الذكي العاقل.

(٢) انظرها ص ٣٥.

(٣) سنّاه: ضيأؤه.

(٤) الرّعيّل الأوّل: الفوج الأوّل.

انضمت صفية بنت عبد المطلب إلى موكب الثور هي وفتاها الزبير بن العوام، وعانت ما عاناه المسلمون السابقون من بأس قريش وعنتها وطغيانها.

فلما أذن الله لنبيه والمؤمنين معه بالهجرة إلى المدينة خلّفت السيدة الهاشمية وراءها مكة بكل ما لها فيها من طيوب الذكريات، وضروب المفاخر والمآثر ويّمت وجهها شطر المدينة، مهاجرة إلى الله ورسوله.

وعلى الرغم من أنّ السيدة العظيمة كانت يومئذٍ تخطو نحو الستين من عمرها المديد الحافل...

فقد كان لها في ميادين الجهاد مواقف ما يزال يذكرها التاريخ بلسانٍ نديٍّ بالإعجاب رطيبٍ بالثناء، وحسبنا من هذه المواقف مشهذان اثنان:

كان أولهما يوم «أحد»...

وثانيهما يوم «الخندي».

أمّا ما كان منها في «أحد» فهو أنّها خرجت مع جند المسلمين في ثلّة^(١) من النساء جهاداً في سبيل الله.

(١) ثلة: طائفة.

فجعلت تنقل الماء، وتروي العطاش، وتبزي السَّهام، وتُصلح
القسي^(١).

وكان لها مع ذلك غرضٌ آخر هو أن ترقب المعركة بمشاعرها
كلِّها...

ولا غرو^(٢) فقد كان في ساحتها ابن أخيها محمَّدٌ رسول الله
ﷺ...

وأخوها حمزة بن عبد المطلب أسدُ الله ...
وابنها الزُّبير بن العوَّام حوارِي^(٣) نبيَّ الله ﷺ ...
وفي المعركة - قبل ذلك كلِّه وفوق ذلك كلِّه - مصير الإسلام
الذي اعتنقته رغبةً...

وهاجرت في سبيله محتسبةً...
وأبصرت من خلاله طريق الجنَّة.

ولما رأت المسلمين ينكشفون^(٤) عن رسول الله ﷺ إلا قليلاً
منهم...

(١) القسيّ: جمع قوس وهو آلة الحرب يرمى بها بالسَّهام.

(٢) لا غرو: لا عجب.

(٣) الحوارِي: الناصر، وحواريو الرسل: الخاصة من أنصارهم.

(٤) ينكشفون: يتفرقون.

ووجدت المشركين يوشكون أن يصلوا إلى النَّبيِّ ﷺ ويقضوا عليه؛ طرحت سقاءها أرضاً...

وهبت كاللبوة^(١) التي هوجم أشبالها وانتزعت من يد أحد المنهزمين رُمحه، ومضت تشقُّ به الصُّفوف، وتضرب بسنانه الوجوه، وتزأر في المسلمين قائلة:

ويحكم، انهزمت عن رسول الله!!؟.

فلما رآها النَّبيُّ عليه الصَّلَاة والسَّلَام مقبلةً خشي عليها أن ترى أختها حمزة وهو صريعٌ، وقد مثَّل به المشركون أبشع تمثيل^(٢) فأشار إلى ابنها الزُّبير قائلاً:

(المرأة يا زبير... المرأة يا زبير...).

فأقبل عليها الزُّبير وقال:

يا أمَّه إليك... إليك يا أمَّه^(٣).

فقالت: تنحَّ لا أمَّ لك.

فقال: إنَّ رسول الله يأمرُك أن ترجعي...

فقالت: ولم؟!...

إنَّه قد بلغني أنه مثَّل بأخي، وذلك في الله...

فقال له الرَّسول: ﷺ (خلَّ سبيلها يا زبير).

(١) اللبوة: أنثى الأسد.

(٢) التمثيل: تشويه جسد الميت.

(٣) إليك يا أمه: ابتعدي يا أمه.

فخلَّى سبيلها.

ولما وضعت المعركة أوزارها... وقفت صفية على أخيها حمزة فوجدته قد بُقر^(١) بطنه، وأُخرجت كبده، وجُدع أنفه^(٢)، وصُلِّمت أذناه^(٣)، وشوّه وجهه، فاستغفرت له، وجعلت تقول: إن ذلك في الله...

لقد رضيت بقضاء الله.

والله لأصبرن، ولأحتسبن^(٤) إن شاء الله.

كان ذلك موقف صفية بنت عبد المطلب يوم «أحد»... أمّا موقفها يوم «الخنْدَق» فله قصة قصيرة مثيرة سُداها الدَّهَاءُ والذَّكَاءُ، ولُحِمْتُها^(٥)، البسالةُ والحزم... فأليك^(٦) خبرها كما وعته كتب التاريخ.

(١) بقر بطنه: شُقَّ بطنه.

(٢) جدع أنفه: قطع أنفه.

(٣) صُلِّمت أذناه: قطعت أذناه.

(٤) لأحتسبن: لاجعلن ذلك المصاب في الله ولأطلبنَّ إلَّاه عليه منه.

(٥) السُدى: الخيوط الطويلة للنسيج، واللحمة: الخيوط العرضية.

(٦) إليك خبرها: خذ خبرها.

لقد كان من عادة رسول الله ﷺ إذا عزم على غزوة من الغزوات أن يضع النساء والذَّراري في الحصون خشية أن يغدر بالمدينة غادرٌ في غيبة حمائها.

فلَمَّا كان يوم «الخنْدَق» جعل نساءه وعمَّته وطائفة من نساء المسلمين في حصن لحسان بن ثابت^(١) ورثه عن آبائه، وكان من أمنع حصون المدينة مناعةً وأبعدها منيلاً.

وبينما كان المسلمون يرابطون على حواف^(٢) الخندق في مواجهة قريش وأحلافها، وقد شُغلوا عن النساء والذَّراري بمنازلة العدو.

أبصرت صفية بنت عبد المطلب شبحاً يتحرَّك في عتمة الفجر، فأرهفت له السَّمْع، وأحدَّت إليه البصر... فإذا هو يهوديٌّ أقبل على الحصن، وجعل يُطيف به متجسِّساً أخباره متجسِّساً على من فيه.

فأدركت أنَّه عَيْنُ^(٣) لبني قومه جاء ليعلم أفي الحصن رجالٌ يدافعون عمَّن فيه، أم إنَّه لا يضمُّ بين جدرانهِ غير النساء والأطفال.

(١) حسان بن ثابت: شاعر رسول الله ﷺ والمدافع عن الإسلام بشعره، توفي وله مائة وعشرون سنة قضى نصفها في الجاهلية ونصفها في الإسلام.

(٢) حواف الخندق: إطفاه.

(٣) عين لبني قومه: جاسوس لهم.

فقال في نفسها: إنَّ يهود بني «قُريظة» قد نقضوا ما بينهم وبين رسول الله من عهدٍ وظاهروا^(١) قريشًا وأحلافها على المسلمين ...

وليس بيننا وبينهم أحدٌ من المسلمين يدافع عنَّا، ورسول الله ﷺ ومن معه مرابطون في نحور^(٢) العدو...
فإن استطاع عدوُّ الله أن ينقل إلى قومه حقيقة أمرنا سبي اليهود النِّساء واسترقوا الذَّراري، وكانت الطَّامَّة^(٣) على المسلمين.

عند ذلك بادرت إلى خمارها فلفَّته على رأسها، وعمدت إلى ثيابها فشدَّتها على وسطها، وأخذت عمودًا على عاتقها^(٤)، ونزلت إلى باب الحصن فشقَّته في أناةٍ وحذقٍ، وجعلت ترقب من خلاله عدوَّ الله في يقظةٍ وحذرٍ، حتَّى إذا أيقنت أنَّه غدا في موقفٍ يُمكنُها منه...
حملت عليه حملةً حازمةً صارمةً، وضربت به بالعمود على رأسه فطرحته أرضًا...

(١) ظاهروا قريشا: أعانوا قريشا.

(٢) في نحور العدو: في وجوه العدو وقبالته.

(٣) الطامة: المصيبة الكبرى، وسميت القيامة طامة لأنها تطم كل شيء، أي تعم ولا تترك شيئاً.

(٤) علي عاتقها: على كتفها.

ثمَّ عزَّزت الضَّربة الأولى بثانيةٍ وثالثةٍ حتَّى أجهزت عليه،
وأخمدت أنفاسه بين جنبيه ...
ثمَّ بادرت إليه فاحتزَّت رأسه بسكِّين كانت معها، وقذفت
بالرَّأس من أعلى الحصن ...
فطفق يتدحرج على سفوحه حتَّى استقرَّ بين أيدي اليهود الذين
كانوا يتربَّصون^(١) في أسفله.
فلمَّا رأى اليهود رأس صاحبهم؛ قال بعضهم لبعض:
قد علمنا أنَّ محمدًا لم يكن ليترك النِّساء والأطفال من غير
حُماةٍ ... ثمَّ عادوا أدراجهم ...

رضي الله عن صفية بنت عبد المطلب.
فقد كانت مثلاً فذاً للمرأة المسلمة ...
ربَّت وحيدها فأحكمت تربيته ...
وأصيبت بشقيقها فأحسنَت الصَّبْر عليه ...
واختبرتها الشَّدائد فوجدت فيها المرأة الحازمة العاقلة الباسلة ...
ثمَّ إنَّ التَّاريخ كتب في أنصع صفحاته:
إنَّ صفية بنت عبد المطلب كانت أوَّل امرأةٍ قتلت مشركاً في
الإسلام^(*).

(١) يتربصون: ينتظرون ويتربصون

(*) للاستزادة من أخبار صفية بنت عبد المطلب انظر:

فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ
رَيْحَانَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
«الْمَهْدِيُّ مِنْ عِترَتِي مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ»
[مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ]

- ١- الإصابة: ٣٤٨/٤ «الترجمة» ٦٥٤،
- ٢- السيرة النبوية لابن هشام: «انظر الفهارس» .
- ٣- المستطرف للأبشيهي: «انظر الفهرس» .
- ٤- حياة الصحابة: ١٥٤/١ «وانظر الفهارس» .
- ٥- إلّاغاني لأبي الفرج: «انظر الفهارس» .
- ٦- ذيل تاريخ الطبري: «انظر الفهارس» .
- ٧- أعلام النساء لكحالة: ٣٤١/٢، ٣٤٦،
- ٨- الكامل في التاريخ: «انظر الفهارس» .
- ٩- المعارف لابن قتيبة: «انظر الفهارس» .
- ١٠- الاستيعاب بhamش الإصابة: ٣٤٥،/٤
- ١١- أسد الغابة: ١٧٢،/٧
- ١٢- فتوح البلدان للبلاذري.
- ١٣- الطبقات الكبرى: ٤١،/٨
- ١٤- سير أعلام النبلاء: ١٩٣،/٢
- ١٥- سمط اللآلي: ١٨،/١
- ١٦- ابن كثير: ١٠٨،/٤

قصة حياة فاطمة الزهراء فصلٌ مشرقٌ من سيرة الرسول
العظيم ﷺ ...

وصورة رائعة من صور حياة بيت النبوة الكريم ...
ومثل رائع لما كان عليه الصحابة الكرام.

ولدت فاطمة الزهراء رضوان الله عليها سنة بناء الكعبة قبل
البعثة الحمديَّة بخمس سنين.

أمَّا أمُّها فسيِّدة رزانٌ جمعت العقل الحصيف^(١) إلى النسب
الشريف وضمت إلى ذلك الخلائق الفاضلة، والثروة الطائلة؛ فكانت
تدعى في الجاهليَّة بالطاهرة، وتُنعت بسيِّدة نساء قريش ...
آمنت بالرسول ﷺ إذ كفر به النَّاس، وصدَّفته إذ كذَّبه النَّاس،
وواسته بما لها إذ حرمه النَّاس.

وقد حبا الله هذه السيِّدة الوقور صباحة الوجه مع ما حباها به
من الخلق الجميل، والحسب الإثيل^(٢) والمال الجزيل ...
هذه هي أمُّ فاطمة الزهراء ...

أمَّا أبوها فسيِّد المرسلين، وخاتم النبيِّين، وإمام المتقين ...
فأعظم بهذا النسب الكريم نسباً ...
وهذا إلَّاب العظيم أباً.

(١) الحصافة: الحكمة في العقل، والجودة في الرأي.

(٢) الحسب الأثيل: الأصيل القديم.

كانت فاطمة الزَّهراء آخر أولاد أبيها، وآخر الأولاد يتقلَّب
 في أعطاف الحنان والحدب...
 ويدرج في أكناف الحفاوة والحبّ...
 لذا كانت فاطمة ريحانة رسول الله صلوات الله عليه... يرضى
 إذا رضيت ويسخط إذا سخطت.
 ولكنَّ حنان الأبوين لم يحل دون تعهّد المحبوبة لإثيرة بالتَّربية
 وإعدادها لتحملُ المسؤوليَّات...
 فقد روي أنَّها كانت تقوم وحدها بصنيع بيتها لا يعينها في
 أكثر أيَّامها أحدٌ، وأنها كانت تضمّد جراح أبيها صلوات الله عليه
 في غزوة «أحد».
 ولما بلغت الزَّهراء مبلغ النِّساء طمحت إليها الإنظار؛ فكان في
 جملة من خطبها أبو بكر وعمر...
 فردَّهما الرِّسول صلوات الله عليه ردًّا كريماً، وكأثما كان يريد
 أن يخصَّ بها عليّاً رضوان الله عليه.

وفي السَّنة الثَّامنة للهجرة خطب عليُّ بن أبي طالب فاطمة
 الزَّهراء فما أسرع أن استجاب الرِّسول ﷺ إلى طلبه، فخرَّ عليُّ
 ساجداً شكريّاً لله، فلمَّا رفع رأسه من سجوده قال له الرِّسول عليه
 أفضل الصَّلاة والسَّلام:

(بارك الله لكما وعليكما، وأسعد جدَّكما^(١)) وأخرج منكما الكثير الطيب).

وقد شهد عقد فاطمة الزَّهراء على عليّ بن أبي طالب أبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة^(٢)، والزُّبير من المهاجرين، وعددٌ يماثل عددهم من الأنصار.

ولما أخذ القوم مجالسهم قال عليه الصَّلَاة والسَّلَام:
(الحمد لله المحمود بنعمته، المعبود بقدرته، إنّ الله عز وجل جعل المصاهرة نسباً لاحقاً، وأمرًا مفترضاً وحكماً عادلاً، وخيراً جامعاً، أو شج^(٣) بها لإرحام وألزمها إلّانام فقال عز وجل:

﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ

رَبُّكَ قَدِيرًا﴾^(٤).

أشهدكم أنّي زوجت فاطمة من عليّ على أربع مائة مثقال فضّة
إن رضي بذلك على السنّة القائمة، والفريضة الواجبة ...
فجمع الله شملهما، وبارك لهما، وأطاب نسلهما ...
أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم).

(١) أسعد جدَّكما: أسعد حظكما، وجعلكما من المرضي عنهم.

(٢) عثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله التَّميمي: انظرهما في كتاب «صور من حياة الصحابة» للمؤلف، الناشر دار الأدب الإسلامي، الطبعة المشروعة.

(٣) أو شج بها الأرحام: وصل بها الأرحام.

(٤) سورة الفرقان: آية ٥٤.

وزُفَّت سيِّدة نساء المسلمين إلى بيت زوجها.
وما كان لها من جهازٍ غير سريرٍ مشروطٍ، ووسادةٍ من آدمٍ
حشوها ليفٌ، ونورة^(١) من آدمٍ، وسقاءٍ، ومنخلٍ، ومنشفةٍ، وقدحٍ،
ورحوان وجرتان.

لم يطق الرسول الكريم ﷺ صبراً على بعد الزَّهراء عنه؛ فعزم على
أن يحوِّلها إلى جواره وكانت تجاوره منازل لحارثة بن النُّعْمان فجاء
إلى النَّبِيِّ صلوات الله عليه وقال:
إِنَّهُ بَلَّغَنِي أَنَّكَ تَرِيدُ أَنْ تَحَوِّلَ فَاطِمَةَ إِلَيْكَ، وَهَذِهِ مَنَازِلِي وَهِيَ
أَقْرَبُ بَيْوتِ «بَنِي النَّجَّارِ» إِلَيْكَ، وَإِنَّمَا أَنَا وَمَالِي لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَاللَّهُ
يَا رَسُولَ اللَّهِ:

لِلْمَالِ الَّذِي تَأْخُذُ مِنِّي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي تَدْعُ.
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
(صَدَقْتَ، بَارَكَ اللَّهُ عَلَيْكَ).
ثُمَّ حَوَّلَ فَاطِمَةَ إِلَى جَوَارِهِ وَأَسْكَنَهَا مِثْلًا مِنْ بَيْوتِ حَارِثَةَ
رِضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِ.

(١) نورة من ادم: أي إناء من الجلد يغسل فيه.

ومنذ استقرت الزَّهراء في جوار أبيها كان يلُمُّ بيتها كل صباح،
فإذا أُذِّن للصُّبح كان يأخذ بعضادتي باب بيتها ويقول:
(السَّلام عليكم أهل البيت ويطهرَّكم تطهيراً).
وكان النَّبيُّ ﷺ إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فصَلَّى فيه ركعتين
ثمَّ يثني بيت فاطمة ويطيل عندها المكث، ثمَّ يأتي بيوت نساءه.

وقد رُوِيَ عن محمَّد بن قيس أنَّ الرَّسول صلوات الله عليه خرج
ذات مرة في سفرٍ ومعه عليُّ بن أبي طالب فصنعت له فاطمة
رضوان الله عليها في غيبتها سوارين وقلادةً وقرطين، ووضعت
على باب البيت ستارةً، وذلك لقدم أبيها وزوجها.
فلَمَّا قدم رسول الله ﷺ دخل عليها ووقف أصحابه على الباب
لا يدرون أيقون أم ينصرفون لطول مكثه عندها، فخرج الرَّسول
ﷺ وقد عرف في وجهه الغضب حتَّى جلس على المنبر.
عند ذلك أدركت فاطمة رضوان الله عليها أنَّه فعل ذلك لما رأى
من السَّوارين والقلادة والقرطين والسَّتر ...
فترعت قرطبيها وقلادتها وسواريهَا وأنزلت السَّتر وبعثت به إلى
رسول الله ﷺ، وقالت لمن حمَّله إياها:
قُلْ للرَّسول تقرأ عليك ابنتك السَّلام وتقول لك اجعل هذا في
سبيل الله، فلَمَّا أتاه قال:

(قد فعلت - فداها أبوها - ليست الدنيا من محمدٍ ولا من آل محمدٍ، ول كانت الدنيا تعدل عند الله من الخير جناح بعوضةٍ ما سقى كافراً منها شربة ماءٍ).

ثمَّ إنَّ بيت فاطمة الزَّهراء ما لبث أن سعد بالذُّريَّة الصَّالحة
فقد رُزق إلَّابوان الكريمان كلاً من الحسن، والحسين، ومُحسن
....

وزينب، وأم كلثوم.
كانت فرحة الرِّسول الكريم ﷺ بهم كبيرةً، فقد رُوي أنه لما ولد الحسن سمَّاه والداه «حرباً» فجاء رسول الله ﷺ فقال:
(أروني ابني، ما سمَّيتموه؟).
قالوا: حرباً ...
قال: (بل هو حَسَن).

وكان الرِّسول صلوات الله عليه يدلُّ أولاد فاطمة ويستأنسهم ويداعبهم ويرقصهم، وربما ركب الواحد منهم على كتفه وهو يصلي ...

فيتأثَّى في صلاته ويطيل سجوده لكي لا يزعجه عن مركبه.
وقد كان من عاداته صلوات الله عليه أن يبيت في بيت فاطمة حيناً بعد حينٍ، ويتولَّى خدمة أطفالها بنفسه وأبواهم قاعدان.

ففي إحدى الليالي سمع الحسن يستسقي^(١)؛ فقام صلوات الله عليه إلى قربةٍ فجعل يعصرها في القدح فمدَّ الحسين يده ليتناول الماء، فتحَّاه عنه وبدأ بالحسن، فقالت فاطمة: كأنَّه أحبُّ إليك؟.

فقال عليه السَّلام: (إنَّما استسقى أولًا).

وكانت فاطمة رضوان الله عليها إذا دخلت على رسول الله ﷺ أخذ بيدها ورحَّب بها وأجلسها في مجلسه ... وكان إذا دخل عليها قامت له ورحَّبت به وأخذت بيده فقبَّلتها. فدخلت عليه في مرضه الذي توفِّي فيه فأسرَّ إليها فبكت ... ثمَّ أسرَّ إليها فضحكت، وكانت عائشة ترى ذلك فقالت في نفسها: كنت أحسب لهذه المرأة فضلًا على النساء فإذا هي واحدةٌ منهنَّ بينما هي تبكي إذا هي تضحك.

فلما توفِّي رسول الله ﷺ سألتها عن ذلك فقالت: أسرَّ إليَّ فأخبرني أنَّه ميّتٌ فبكيْتُ ... ثمَّ أسرَّ إليَّ أنَّي أوَّلُ أهل بيته لحوقًا به فضحكتُ.

(١) يستسقي: يطلب السقيا.

ولم تمكث فاطمة بعد وفاة أبيها عليه الصَّلَاة والسَّلَام طويلاً فلحقت به بعد أشهرٍ قليلةٍ، قيل إنها ستُّ أو ثلاثة أو اثنان على اختلافٍ في الروايات.

ففي رمضان سنة إحدى عشرة للهجرة لبَّت فاطمة الزَّهراء نداء ربِّها، وفرحت باللُّحوق بأبيها.

ولما حضرها الوفاة تولَّت أمر غسل نفسها بيدها وقالت لصاحبتها أسماء بنت عميسٍ - بعد أن اغتسلت كأحسن ما كانت تغتسل -:

يا أُمَّه إيتيني بثيابي الجدد، فلبستها ...
ثمَّ قالت:

قد اغتسلتُ فلا يكشفنَّ لي أحدٌ كفناً ...
ثمَّ تبسمت، ولم تُر مبتسمةً بعد وفاة أبيها إلاَّ ساعة فارقَت الحياة.

رحم الله ريحانة رسول الله ﷺ رحمةً واسعةً فقد زُفَّت إلى عليٍّ في رمضان ...
وزُفَّت إلى الجنَّة في رمضان أيضاً^(*).

(*) للاستزادة من أخبار فاطمة الزَّهراء انظر:

- ١ - سير أعلام النبلاء: ١١٨/٢
- ٢ - السيرة النبوية لابن هشام: «انظر الفهارس» .
- ٣ - تاريخ الطبري: «انظر الفهارس في العاشر» .

-
- ٤- حياة الصحابة: «انظر الفهارس في الرابع» .
 - ٥- الإصابة: ٣٧٧/٤ «الترجمة» ٨٣٠،
 - ٦- أعلام النساء لكحالة: ١٠٨،/٤
 - ٧- الطبقات لابن سعد: ٢٥،/٨
 - ٨- تهذيب التهذيب: ٤٤٠،/١٢
 - ٩- الترغيب والترهيب: ٢٦٢،/٣
 - ١٠- مسند أحمد: ١٤٩،/٢
 - ١١- صفة الصفوة: ٩،/٢
 - ١٢- أسد الغاية: ٢٢٠،/٧
 - ١٣- حلية الأولياء: ٦٩،/١
 - ١٤- الاستيعاب «بهامش الصحابة»: ٣٧٣/٤ .

أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ
ذَاتُ النَّطَاقَيْنِ
«عُمِّرَتْ أَسْمَاءُ مِائَةَ عَامٍ وَلَمْ يَسْقُطْ لَهَا سِنَّ وَلَا ضِرْسٌ، وَلَمْ
يَغِبْ مِنْ عَقْلِهَا شَيْءٌ»

[المُؤَرِّخُونَ]

صحابيَّتنا هذه جمعت المجد من أطرافه كلّها ...
فأبوها صحابيٌّ، وجدها صحابيٌّ، وأختها صحابيَّةٌ، وزوجها
صحابيٌّ، وابنها صحابيٌّ
وحسبُها^(١) بذلك شرفاً وفخراً ...
أما أبوها فالصّدّيق خليل الرّسول الكريم ﷺ في حياته، وخليفته
من بعد مماته ...
وأما جدُّها فأبو عتيقٍ والد أبي بكر ...
وأما أختها فأُم المؤمنين عائشة الطّاهرة المبرّاة ...
وأما زوجها فحواريٌّ^(٢) رسول الله ﷺ الزُّبير بن العوّام ...
وأما ابنها فعبد الله بن الزُّبير رضي الله عنه وجمعهم أجمعين ...
إنّها - بإيجاز - أسماء بنت أبي بكر الصّدّيق ... وكفى ...

(١) حسبها: يكفيها.

(٢) الحواري: النصير، وحواريو الرُّسل: خاصّة أنصارهم.

كانت أسماء من السَّابِقَات إلى الإسلام، إذ لم يتقدم عليها في هذا الفضل العظيم غير سبعة عشر إنساناً من رجلٍ أو امرأةٍ. وقد لُقِّبَت بذات النُّطَاقِينَ لَأَنَّهَا صَنَعَتْ لِلرَّسُولِ صَلَوَاتِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَلَأَيُّهَا يَوْمَ هَاجَرَا إِلَى الْمَدِينَةِ زَادًا، وَأَعَدَّتْ لَهُمَا سِقَاءً^(١) فَلَمَّا لَمْ تَجِدْ مَا تَرْبِطُهُمَا بِهِ شَقَّتْ نِطَاقَهَا^(٢) شَقَّيْنِ، فَرَبَطَتْ بِأَحَدِهِمَا الْمَزُودَ^(٣) وَبِالْآخَرِ السَّقَاءَ...

فَدَعَا لَهَا النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنْ يِيْدِلَهَا اللَّهُ مِنْهُمَا نِطَاقَيْنِ فِي الْجَنَّةِ... فلُقِّبَت لذلك بذات النُّطَاقِينَ.

تَزَوَّجَ بِهَا الزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَامِ، وَكَانَ شَابًّا مَرْمَلًا^(٤) لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ يَنْهَضُ بِخِدْمَتِهِ، أَوْ مَالٌ يُوسِّعُ بِهِ عَلَى عِيَالِهِ غَيْرَ فَرَسٍ اقْتَنَاهَا. فَكَانَتْ لَهُ نَعَمُ الزَّوْجَةِ الصَّالِحَةِ، تَخْدُمُهُ وَتَسُوسُ فَرَسَهُ وَتُرْعَاهُ وَتَطْحَنُ النَّوَى لِعَلْفِهِ، حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَعْدًا مِنْ أَغْنَى أَغْنِيَاءِ الصَّحَابَةِ.

(١) السَّقَاءُ: القربة وغيرها مما يوضع فيه الماء.

(٢) النُّطَاقُ: ما تشد به المرأة وسطها.

(٣) المَزُودُ: كيسٌ يوضع فيه الزاد للمسافر.

(٤) مَرْمَلًا: فقيرًا.

ولما أُتيح لها أن تهاجر إلى المدينة فراراً بدينها إلى الله ورسوله كانت قد أتمَّت حملها بابنها عبد الله بن الزُّبير فلم يمنعها ذلك من تحمل مشاقِّ الرِّحلة الطَّويلة، فما إن بلغت «قُبَاء» ^(١) حتَّى وضعت وليدها ...

فكَبَّر المسلمون وهلَّلوا، لأنه كان أوَّل مولود يولد للمهاجرين في المدينة.

فحملته إلى رسول الله ﷺ ووضعتَه في حجره، فأخذ شيئاً من ريقه وجعله في فم الصَّبِيِّ، ثمَّ حَنَكه ^(٢) ودعا له ... فكان أوَّل ما دخل في جوفه ريق رسول الله ﷺ.

وقد اجتمع لأسماء بنت أبي بكرٍ من خصائل الخير وشمائل النُّبل، ورجاحة العقل ما لم يجتمع إلَّا للقليل النَّادر من الرِّجال. فقد كانت من الجود بحيث يضرب بجودها المثل. حدَّث ابنها عبد الله قال:

ما رأيت امرأتين قط أجود من خالتي عائشة وأُمِّي أسماء، لكنَّ جودهما مختلفٌ ...

أمَّا خالتي فكانت تجمع الشَّيء إلى الشَّيء حتَّى إذا اجتمع عندها ما يكفي؛ قسمته بين ذوي الحاجات

(١) قُبَاء: قرية على بعد ميلين من المدينة.

(٢) حَنَكه: مضغ شيئاً ووضعه في حنكه.

وأما أمِّي فكانت لا تمسك^(١) شيئاً إلى الغد ...
وكانت أسماء إلى ذلك عاقلة تحسن التصرف في المواقف
المرجحة ...

من ذلك أنَّه لما خرج الصديق مهاجراً بصحبة رسول الله ﷺ
حمل معه ماله كله، ومقداره ستّة آلاف درهم، ولم يترك لعياله شيئاً
...

فلما علم والده أبو قحافة برحيله - وكان ما يزال مشركاً -
جاء إلى بيته وقال لأسماء:
والله إني لأراه قد فجعكم بماله بعد أن فجعكم بنفسه ...
فقالت له:

كلاً يا أبت إنَّه قد ترك لنا مالاً كثيراً.
ثم أخذت حصي ووضعت في الكوّة^(٢)، التي كانوا يضعون فيها
المال، وألقت عليه ثوباً، ثم أخذت بيد جدّها - وكان مكفوف
البصر - وقالت:

يا أبت، انظر كم ترك لنا من المال.
فوضع يده عليه وقال:
لا بأس ... إذا ترك لكم هذا كله فقد أحسن.

(١) لا تمسك شيئاً: لا تستبقي شيئاً.

(٢) الكوّة: تجويف في الحائط، أو نافذة صغيرة.

وقد أرادت بذلك أن تسكّن نفس الشيخ، وألاًّ تجعله يبذل^(١) لها شيئاً من ماله ...
 ذلك لأنها كانت تكره أن تجعل لمشركٍ عليها يداً^(٢) حتّى لو كان جدّها ...

وإذا نسي التاريخ لأسماء بنت أبي بكر مواقفها كلّها، فإنّه لن ينسى لها رجاحة عقلها، وشدة حزمها، وقوّة إيمانها وهي تلقى والدها عبد الله اللّقاء الأخير.
 وذلك أنّ ابنها عبد الله بن الزُّبير بويع له بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية، ودانت له الحجاز، ومصر، والعراق، وخراسان، وأكثر بلاد الشّام.
 لكنّ بني «أميّة» ما لبثوا أن سيّروا لحربه جيشاً لجباً^(٣) بقيادة «الحجاج بن يوسف الثّقفي»...
 فدارت بين الفريقين معارك طاحنة أظهر فيها ابن الزُّبير من ضروب البطولة ما يليق بفارس كمي^(٤) مثله.

(١) يبذل لها: يعطيها.

(٢) اليد: الصنّعة والمنّة والمعروف.

(٣) جيشا لجبا: جيشا كثيفا جرارا.

(٤) الكمي: البطل الشجاع.

غير أن أنصاره جعلوا ينفضون^(١) عنه شيئاً فشيئاً؛ فلجأ إلى بيت الله الحرام، واحتفى هو ومن معه في حِمى الكعبة المعظمة ...
وقييل مصرعه بساعات دخل على أمّه أسماء - وكانت عجوزاً فانيةً قد كفَّ بصرها - فقال:

السَّلام عليك يا أمّه^(٢) ورحمة الله وبركاته.

فقالت: وعليك السَّلام يا عبد الله ...

ما الذي أقدمك في هذه السَّاعة، والصخور التي تقذفها منجنيقات^(٣) الحجَّاج على جنودك في الحرم تَهْزُ دور مكَّة هزاً؟!.
قال: جئت لأستشيرك.

قالت: تستشيرني!! ... في ماذا؟!.

قال: لقد خذلني النَّاس وانحازوا عني رهبةً من الحجَّاج أو رغبةً بما عنده ...

حتَّى أولادي وأهلي انفضُّوا^(٤) عني، ولم يبق معي إلَّا نفر قليلٌ من رجالي، وهم مهما عظم جلدتهم^(١) فلن يصبروا إلَّا ساعةً أو ساعتين ...

(١) ينفضون عنه: يتفرون عنه.

(٢) يا أمّه: يا أمّاه.

(٣) المنجنيقات: جمع منجنيق، وهو آلة حربية كانت تقذف بها الصخور ونحوها على المعقل والحصون.

(٤) انفضُّوا: تفرقوا.

ورسل بني «أمية» يفاوضونني على أن يعطوني ما شئت من الدنيا إذا ألقيت السَّلاح وبايعت عبد الملك ابن مروان، فما ترين؟
فعلا صوتها وقالت:

الشَّان شأنك يا عبد الله، وأنت أعلم بنفسك ...
فإن كنت تعتقد أنك على حق، وتدعو إلى حق، فاصبر وجاد
كما صبر أصحابك الذين قتلوا تحت رايتك...
وإن كنت إنما أردت الدنيا فلبئس العبد أنت ...
أهلك نفسك، وأهلك رجالك.
قال: ولكنني مقتول اليوم لا محالة.
قالت: ذلك خير لك من أن تسلم نفسك للحجَّاج مختاراً،
فيلعب برأسك غلمان بني «أمية».

قال:

لست أخشى القتل، وإنما أخاف أن يمثلوا بي.
قالت: ليس بعد القتل ما يخافه المرء، فالشَّاة المذبوحة لا يؤلمها
السَّلك ...

فأشرقت أسارير^(٢) وجهه وقال:

بوركت من أمّ، وبوركت مناقبك^(١) الجليلة؛ فأنا ما جئت إليك
في هذه السَّاعة إلاّ لأسمع منك ما سمعت، والله يعلم أنني ما وهنت

(١) جلدهم: صبرهم واحتمالهم.

(٢) أسارير وجهه: محاسن وجهه.

ولا ضعفت، وهو الشَّهيد عليّ أُنِّي ما قمت بما قمت به حبًّا بالدنيا وزينتها، وإنما غضباً لله أن تستباح محارمه ...
وهأنذا ماض إلى ما تحبِّين، فإذا أنا قتلت فلا تحزني عليّ وسلِّمي
أمرَك الله ...

قالت: إنما أحزن عليك لو قتلت في باطل.
قال: كوني على ثقة بأن ابنك لم يتعمَّد إتيان منكراً قطُّ، ولا عمل بفاحشة قطُّ، ولم يجر في حكم الله، ولم يغدر في أمان، ولم يتعمَّد ظلم مسلم ولا معاهد^(٢)، ولم يكن شيء عنده آثر^(٣) من رضي الله عز وجل ...
لا أقول ذلك تركيةً لنفسِي، فالله أعلم منِّي بي، وإنَّما قتلته لأدخل العزاء^(٤) علي قلبك.

فقالت: الحمد لله الذي جعلك علي ما يحبُّ وأحبُّ ...
اقترَب منِّي يا بنيَّ لأتشمَّ رائحتك وألمس جسدك فقد يكون هذا آخر العهد بك.
فأكبَّ عبد الله علي يديها ورجليها يوسعهما^(١) لثماً، وأجالت هي أنفها في رأسه ووجهه وعنقه تتشمَّمه وتقبُّله ...

(١) مناقبك: خالك وخصالك وشمالك.

(٢) المعاهد: الذمي.

(٣) آثر: أفضل.

(٤) العزاء: الصبر.

وأطلقت يديها تتلمَّس جسده، ثمَّ ما لبثت أن ردَّتْهما عنه وهي تقول:

ما هذا الذي تلبسه يا عبد الله؟!.

قال: درعي.

قالت: ما هذا يا بنيَّ لباس من يريد الشَّهادة.

قال: إنَّما لبستها لأطيب خاطرك، وأسكن قلبك.

قالت:

انزعها عنك، فذلك أشدُّ حميتك^(٢) وأقوي لوثبتك، وأخفُّ لحركتك ...

ولكن البس بدلاً منها سراويل مضاعفة^(٣)، حتَّى إذا صُرعت لم تنكشف عورتك.

نزع عبد الله بن الزُّبير درعه، وشدَّ عليه سراويله، ومضى إلى الحرم لمواصلة القتال وهو يقول:

لا تفتري عن الدُّعاء لي يا أمَّه.

فرفعت كفيَّها إلى السَّماء وهي تقول:

(١) يوسعهما لثماً: يملأهما تقبيلًا.

(٢) أشد حميتك: أقوي لنخوتك وشجاعتك.

(٣) مضاعفة: طويلة.

اللَّهُمَّ ارحم طول قيامه وشدة نحيبه في سواد الليل والنَّاس نيامٌ

...

اللَّهُمَّ ارحم جوعه وظمأه في هواجر المدينة ومكة وهو صائمٌ

...

اللَّهُمَّ ارحم برّه بأبيه وأمه ...

اللَّهُمَّ إني قد سلّمتَه لأمرِك، ورضيت بما قضيت له، فأثبني عليه

ثواب الصَّابرين ...

لم تغرب شمسُ ذلك اليوم إلاَّ كان عبد الله بن الزُّبير قد لحق
بجوار ربّه.

ولم يمض على مصرعه غير بضعة عشر يومًا إلاَّ كانت أمّه أسماء

بنت أبي بكر قد لحقت به ...

وقد بلغت من العمر مائة عام، ولم يسقط لها سنٌّ ولا ضرسٌ ولم

يغب من عقلها شيءٌ^(*).

(*) للاستزادة من أخبار أسماء بين أبي بكرٍ انظر:

١- الأصابة: ٢٢٩/٤ «الترجمة»، ٤٦،

٢- أسد الغابة: ٣٩٢/٢، ٣٩٣،

٣- الاستيعاب «على هامش الإصابة»: ٢٣٢/٤،

٤- تهذيب التهذيب: ٣٩٧/١٢،

٥- صفة الصفوة: ٣١/٢، ٣٢،

٦- شذرات الذهب: ٨٠/١،

٧- تاريخ الإسلام للذهبي: ١٣٣/٣، ١٣٧،

نَسِيْبَةُ الْمَازِنِيَّةِ

«مَا التَفْتُ يَوْمَ أَحَدٍ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا إِلَّا وَرَأَيْتُ أُمَّ عُمَارَةَ
تُقَاتِلُ دُونِي»

[مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ]

«أنتم على موعدٍ مع رسول الله ﷺ عند العقبة في آخر الهزيع^(١)
الأوَّل من اللَّيل».

أسرَّ مصعب بن عمير بهذه الكلمة إلى واحدٍ من مسلمي
«يثرب»، فسرى الخبر بينهم سريان النَّسيم في سرعةٍ، وخفَّةٍ،
وهدوءٍ.

وأحيط به المسلمون الذين تسلَّلوا من المدينة، واندسُّوا بين جموع
حجَّاج المشرِّكين الوافدين على مكَّة من كلِّ صوبٍ.
وأقبل اللَّيل فاستسلم حجَّاج المشرِّكين إلى الكرى^(١)...

٨- البداية والنهاية: ٣٤٦،/٨

٩- أعلام النساء لكحالة: ٣٦،/١

١٠- عبد الله بن الزُّبير من سلسلة أعلام العرب للدكتور الخربوطلي.

١١- سير أعلام النبلاء: ٢٠٨،/٢

١٢- قلائد الجمان: ١٤٩،

١٣- النجوم الزاهرة: ١٨٩،/١

١٤- المحرر: ١٠٠،٥٤،٢٢.

(١) الهزيع الأول من اللَّيل: الثلث الأوَّل منه.

وجعلوا يُعْطُونَ في نوم عميقٍ بعد يومٍ جاهدٍ ناصبٍ^(٢) قضوه في
التَّطَوُّافِ حول الأوثان ...
والذَّبْحِ للأصنام ...
لكنَّ أصحاب مصعب بن عميرٍ من مسلمي «يثرب» لم يغمض
لهم جفنٌ ...

وكيف لجفونهم أن تغمض؟!..
وقلوبهم تخفق بين فرحة باللقاء الذي قطعوا من أجله الفَيَافِي^(٣)
والقِفَارَ^(٤) وأفئدتهم تكاد تطير من بين ضلوعهم شوقاً لرؤية نبيِّهم
الحبيب صلوات الله وسلامه عليه.
فقد آمن به أكثرهم قبل أن يسعدوا بلقياه ...
وتعلَّقوا به قبل أن تكتحل أعينهم بمرآه ...

وفي آخر الهزيع الأوَّل من أوسط أيَّام التَّشْرِيقِ، وعند «العقبة»
في «منى» تمَّ اللقاء الكبير في نجوة^(٥) من قريش ...

(١) الكرى: النوم.

(٢) جاهد ناصب: متعب بسبب ما بذل فيه من جهد.

(٣) الفَيَافِي: الصحاري الواسعة.

(٤) القِفَار: الأراضي الجرداء.

(٥) النجوة: البعد عن الأمر حتى يظن أنه لن يلحقه احد.

فلَمَّا تقدَّم اثنان وسبعون رجلاً من النَّبِيِّ صلوات الله وسلامه عليه ...

ووضعوا أيديهم في يديه واحداً بعد آخر مبايعين على أن يمنعوهم ممَّا يمنعون منه نساءهم وأولادهم ...
ولَمَّا انتهى الرَّجال من البيعة تقدَّمت امرأتان فبايعتا على ما بايع عليه الرَّجال ...

ولكن من غير مصافحةٍ ...
ذلك لأنَّ الرَّسول عليه الصَّلَاة والسَّلَام لا يصفح النَّساء.
وقد كانت إحدى هاتين المرأتين تعرف بأُمٍّ منيع^(١) ...
أما الأخرى فهي نسيبة بنت كعب المازنيَّة المكنَّاة بأُمِّ عمارة.

عادت أُمُّ عمارة إلى «يثرب» فرحةً بما أكرمها الله به من لقاء الرَّسول الأعظم ﷺ.
عاقدة العزم على الوفاء بشروط البيعة ...
ثمَّ مضت الأيام سراعاً، حتَّى كان يوم «أُحُدٍ»، وكان لأُمِّ عمارة فيه شأنٌ وأيُّ شأنٍ؟!..
خرجت أُمُّ عمارة إلى «أُحُدٍ» تحمل سقاءها لتروي ظمأ المجاهدين في سبيل الله.

(١) أُم منيع: هي أسماء بنت عمرو بن عدي بن ياسر الأنصارية السلمية، أُم الصحابي معاذ بن جبل.

ومعها لفائفها لتضمّد^(١) جراحهم ...
 ولا عجب فقد كان لها في المعركة زوجٌ وثلاثة أفئدة:
 هم رسولُ الله صلوات الله وسلامه عليه...
 وولدها حبيب^(٢)، وعبد الله...
 وذلك بالإضافة إلى إخوتها من المسلمين الذّائدين^(٣) عن دين الله
 المنافحين عن رسول الله.
 ثمّ كان ما كان يوم «أُحُدٍ»...
 فلقد رأت أمّ عمارة بعينها كيف تحوّل نصر المسلمين إلى هزيمة
 كبرى...
 وكيف أخذ القتل يشتدُّ في صفوف المسلمين فيتساقطون على
 أرض المعركة شهيداً إثر شهيد...
 وكيف زلزلت الأقدام، فتنفّرق الرّجال عن رسول الله ﷺ حتّى
 لم يبق معه إلّا عشرةٌ أو نحو من عشرة...
 ثمّ جعل صارخ الكفار ينادي:
 لقد قتل محمّدٌ ... لقد قتل محمّدٌ...

(١) تضمّد: تداوي جراحهم وتربطها بالضماد، وهو رباط الجرح.

(٢) حبيب بن زيد: انظره في كتاب «صور من حياة الصحابة» للمؤلف، الناشر دار
 الأدب الإسلامي، الطبعة المشروعة.

(٣) الذّائدين: المدافعين عن دين الله.

عند ذلك أَلقت أُمُّ عَمارة سقاءها، وانبرت إلى المعركة كالنَّمرة التي قصد أشبالها بشرًّا...
ولترك لأُمِّ عَمارة نفسها الحديث عن هذه اللَّحظات الحاسمات، فليس كمثَلها من يستطيع تصويرها بدقَّةٍ وصدقٍ.

قالت أُمُّ عَمارة:

خرجت أوَّل النَّهار إلى «أُحُدٍ» ومعِي سقاءٌ أسقي منه المجاهدين حتَّى انتهيت إلى رسول الله ﷺ، والدَّولة والريِّح^(١) له ولمن معه...
ثمَّ ما لبث أن انكشف المسلمون عن رسول الله ﷺ فما بقي إلَّا في نفرٍ قليلٍ ما يزيدون على العشرة...
فملت إليه أنا وابني وزوجي...
وأحطنا به إحاطة السَّوار بالمعصم، وجعلنا ندود عنه بسائر ما نملكه من قوَّةٍ وسلاح...
ورآني الرِّسول الكريم ﷺ ولا تُرس معي أقي به نفسي من ضربات المشركين.
ثمَّ أبصر رجلًا مولياً^(٢) ومعهُ ترسٌ فقال له:
(القي ترسك إلى من يقاتل) فألقى الرَّجلُ ترسه ومضى...

(١) الدَّولة: النصر والغلب، والريِّح: القوة.

(٢) مولياً: فاراً هارباً.

فأخذته وجعلت أترس به عن الرسول ﷺ.
ومازلت أضارب عن النبي بالسيف...
وأرمي دونه بالقوس حتى أعجزتني الجراح.
وفيما نحن كذلك أقبل «ابن قمئة» كالجمل الهائج وهو يصيح:
أين محمد؟...
دلوني على محمد.
فاعترضت سبيله أنا ومصعب بن عمير، فصرع مُصعباً بسيفه
وأرداه قتيلاً...
ثم ضربني ضربة خلّفت في عاتقي جرحاً غائراً...
فضربته على ذلك ضرباتٍ، ولكنّ عدوّ الله كانت عليه
درعان^(١)...
ثم أتبع نسيبة المازنية تقول:
وفيما كان ابني يُناضل عن رسول الله ﷺ ضربه أحد المشركين
ضربةً كادت تقطع عضده...
وجعل الدّم يتفجّر من جرحه الغائر...
فأقبلت عليه، وضمّدت جرحه، وقلت له:
انفض يا بنيّ وجالد^(٢) القوم...
فالتفت إليّ الرسول صلوات الله وسلامه عليه وقال:

(١) الدرع: ثوب من الحديد يلبسه المحارب ليحمي صدره.

(٢) المجالدة: المضاربة بالسيف.

(ومن يُطيق ما تطيقين يا أمَّ عمارة)؟! .
ثمَّ أقبل الرَّجل الذي ضرب ابني، فقال الرَّسول عليه الصَّلاة
والسَّلام:

(هذا ضارب ابنك يا أمَّ عمارة).
فما أسرع أن اعترضت سبيله وضربته على ساقه بالسَّيف،
فسقط صريعاً على الأرض...
فأقبلنا عليه نتعاوره^(١) بالسُّيوف ونطعنه بالرِّماح حتَّى أجهزنا^(٢)
عليه، فالتفت إليَّ النَّبيُّ الأعظم ﷺ مبتسماً وقال:
(لقد اقتصصت منه يا أمَّ عمارة...
والحمد لله الذي أظفرك به...
وأراك تارك بعينك).

لم يكن ولدًا أمَّ عمارة أقلَّ شجاعةً وبدلاً من أمَّهما وأبيهما، ولا
أدنى تضحيةً وفداءً منهما...
فالولد سرُّ أمِّه وأبيه، وصورةٌ صادقةٌ عنهما.
حدَّث ابنها عبد الله قال:
شهدت «أُحدًا» مع رسول الله ﷺ، فلمَّا تفرَّق النَّاس عنه دنوت
منه أنا وأمِّي نذبُ^(١) عنه، فقال:

(١) نتعاوره: نضربه واحدا بعد آخر.

(٢) أجهزنا عليه: قضينا عليه وأهلكناه.

(ابن أمّ عمارة؟).

قلت: نعم.

قال: (ارم...).

فرميت بين يديه رجلاً من المشركين بحجر فوقع على الأرض،
فما زلت أعلوه بالحجارة حتّى جعلت عليه منها حملاً، والنَّبِيُّ عليه
السَّلام ينظر إليّ ويبتسم...

وحانت منه التفاتةُ فرأى جُرح أمِّي على عاتقها يتصبَّب منه الدَّم
فقال:

(أُمَّك... أُمَّك...)

اعصب جرحها. بارك الله عليكم أهل بيتٍ...

لمقام أُمَّك خيرٌ من مقام فلانٍ وفلانٍ...

رحمكم الله أهل بيتٍ).

فالتفتت إليه أمِّي وقالت:

ادع الله لنا أن نرافقك في الجنّة يا رسول الله.

فقال: (اللهم اجعلهم رفقائي في الجنّة).

فقالت أمِّي:

ما أبالي بعد ذلك ما أصابني في الدُّنيا.

ثمَّ عادت أمُّ عمارة من «أُحُدٍ» بجرَّحها الغائر وهذه الدَّعوة التي دعا لها بها الرِّسولُ الأعظم ﷺ.

وعاد النَّبيُّ عليه الصَّلَاة والسَّلَام من «أُحُدٍ» وهو يقول:

(ما التفتُ يوم أُحُدٍ يمينًا ولا شمالًا إلَّا ورأيت أمَّ عمارة تقاتل دُوني).

تمرت أمُّ عمارة يوم «أُحُدٍ» على القتال؛ فأتقنته...
 وذوقت حلاوة الجهاد في سبيل الله؛ فما عادت تطيق عنه صبرًا.
 وقد كتب لها أن تشهد مع الرِّسول صلوات الله وسلامه عليه
 أكثر المشاهد...
 فحضرت معه الحديبية، وخيبرًا...
 وعمره القضيَّة^(١)، وحُنينًا...
 وبيعة الرِّضوان...
 ولكنَّ ذلك كله لا يعدُّ شيئًا إذا قيس بما كان منها يوم
 «اليمامة» على عهد الصِّديق رضي الله عنها وعنه.

تبدأ قصة أمِّ عمارة مع يوم «اليمامة» منذ عهد الرِّسول صلوات
 الله وسلامه عليه.

(١) عمرة القضيَّة أو عمرة القضاء: هي العمرة التي اعتمرها النبي ﷺ وأصحابه بعد صلح الحديبية.

فقد بعث الرَّسولُ الْإِعْظَمُ ﷺ ابنها حبيب بن زيدٍ برسالةٍ إلى
مسيلمة الكذاب....

فغدر مسيلمة بحبيب وقتله قتلةً تقشعُرُ منها الجلود.

ذلك أن مسيلمة قيّد حبيباً ثم قال له:

أتشهد أن محمّداً رسول الله؟.

فقال: نعم.

فقال مسيلمة: أتشهد أنّي رسول الله؟.

فقال: لا أسمع ما تقول....

فقطع منه عضواً....

ثمّ مازال مسيلمة يعيد عليه السُّؤال نفسه، فيردُّ عليه الجواب
نفسه.....

لا يزيد عليه ولا ينقص....

وكان في كلّ مرّة يقطع منه عضواً حتّى فاضت روحه الطّاهرة،
وذلك بعد أن ذاق من العذاب ما تنزل منه الصُّمُّ الصّلاب^(١).

نعى النّاعي حبيب بن زيدٍ إلى أمّه نسيبة المازنيّة فما زادت على
أن قالت:

من أجل مثل هذا الموقف أعددتة...

(١) الصُّمُّ الصّلاب: الصخور الصلبة

وعند الله احتسبته...

لقد بايع الرسول ﷺ ليلة العقبة^(١) صغيراً...

ووفى له اليوم كبيراً...

ولئن أمكنني الله من مسيلمة لأجعلن بناته يلطمن الخدود عليه...

لم يبطئ اليوم الذي تمتته نسبية كثيراً...

حيث أذن مؤذن أبي بكرٍ في المدينة أن حيَّ على قتال المتنبئ

الكذاب مسيلمة...

فمضى المسلمون يحشون الخطأ إلى لقاءه، وكان في الجيش أمُّ

عمارة المجاهدة الباسلة وولدها عبد الله ابن زيد.

ولما التقى الجمعان وحمي وطيس^(٢) المعركة كان يترصد لمسيلمة

نفر من المسلمين وعلى رأسهم أمُّ عمارة التي تريد أن تنتقم لابنها

الشَّهيد...

ووحشيُّ بن حرب^(٣) قاتل حمزة يوم «أُحُدٍ»...

فقد كان يريد أن يقتل شرَّ النَّاس وهو مؤمن.

بعد أن قتل أحد أخصار النَّاس وهو مشرك.

(١) ليلة العقبة: ليلة بيعة العقبة.

(٢) الوطيس: التنور، ويقال حمي وطيس المعركة: التهمت واشتدت.

(٣) وحشيُّ بن حرب: انظره في كتاب «صور من حياة الصحابة» للمؤلف، الناشر

دار الأدب الإسلامي، الطبعة المشروعة.

لم تستطع أمُّ عمارَةَ أن تصل إلى مسيلمة بعد أن قطعت يدها في
المعركة...

وأثختها^(١) الجراح...

لكن وحشيَّ بن حرب، وأبا دجانة صاحب سيف رسول الله ﷺ
وصلا إلى مسيلمة وضرباه عن يد واحدة...

فقد طعنه وحشيُّ بالحربة...

وضربه أبو دجانة بالسيف...

فخرَّ صريعاً في طرفة عينٍ.

عادت أمُّ عمارَةَ بعد «اليمامة» إلى المدينة بيد واحدة ومعها
ابنها الوحيد.

أمَّا يدها الأخرى فقد احتسبتها^(٢) عند الله كما احتسبت من
قبل ولدها الشهيد.

ولم لا تحتسبهما؟!...

ألم تقل للرسول عليه الصَّلاة والسَّلام:

ادع الله لنا أن نرافقك في الجنَّة...

فقال الرسول صلوات الله وسلامه عليه:

(١) أثختها الجراح: أوهنتها وأضعفتها.

(٢) احتسبتها عند الله: طلبت أجرها عليها من الله.

(اللَّهُمَّ اجْعَلْهُمْ رفاقي في الجنَّة).

فقلت:

ما أبالي بعد ذما أصابني في الدنيا...

رضي الله عن أمِّ عمارة وأرضاهما؛ فقد كانت طرازاً فريداً بين
النساء المؤمنات...

وأنموذجاً فذاً بين المجاهدات الصَّابرات^(*)...

رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ

«أُمُّ حَبِيبَةَ آثَرَتْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ عَلَى مَا سِوَاهُمَا، وَكَرِهَتْ

أَنْ تَعُودَ لِلْكَفْرِ كَمَا يَكْرَهُ الْمَرْءُ أَنْ يُقَذَفَ فِي النَّارِ»

[المُؤَرِّخُونَ]

ما كان يخطر ببال أبي سفيان بن حرب أن في وسع أحد من
قريش أن يخرج على سلطانه^(١) أو يخالفه في أمرٍ ذي بال^(٢).

(*) للاستزادة من أخبار نسبية المازنية انظر:

١ - الطبقات الكبرى لابن سعد: ٣٠١،/٨

٢ - الاستيعاب «على هامش الإصابة»: ٤٧٥،/٤

٣ - الإصابة: ٤٧٩/٤ «الترجمة»، ١٤٢٦

٤ - صفة الصفوة: ٣٤،/٢

٥ - امتاع الأسماع: ١٤٨،/١

٦ - تهذيب التهذيب: ٤٥٥/١٢

(١) يخرج على سلطانه: يخالف أمره.

(٢) أمر ذو بال: أمر ذو أهمية وشأن.

فهو سيّد مكّة المطاع...

وزعيمها الذي تدين له بالولاء^(١).

لكنّ ابنته رملة المكنّاة بأُمّ حبيبة، قد بدّدت^(٢) هذا الزّعم، وذلك حين كفرت بألهة أبيها.

وآمنت هي وزوجها عبيد الله بن جحشٍ بالله وحده لا شريك له، وصدّقت برسالة نبيّه محمّد بن عبد الله.

وقد حاول أبو سفيان بكلّ ما أوتي من سطوةٍ وبأسٍ^(٣)، أن يردّ ابنته وزوجها إلى دينه ودين آبائه، فلم يفلح، لأنّ الإيمان الذي رسخ في قلب رملة كان أعمق من أن تقتلعه أعاصير^(٤) أبي سفيان، وأثبت من أن يزعزعه غضبه.

ركب أبا سفيان الهمُّ بسبب إسلام رملة، فما كان يعرف بأيّ وجه يقابل قريشاً بعد أن عجز عن إخضاع ابنته لمشيئته، والحيلولة دون اتّباع محمّد.

(١) الولاء: الطاعة والمتابعة.

(٢) بدّدت هذا الزّعم: أبطلت هذا الزّعم ومزقته.

(٣) البأس: القوّة.

(٤) أعاصير: جمع إعصار، وهو ريح شديدة ترتفع بتراب الأرض ومياه البحر.

ولما وجدت قريشُ أنَّ أبا سفيانَ ساخطٌ على رملةَ وزوجها
اجترأت عليهما، وطفقت تضيقُ عليهما الخناق، وجعلت
ترهقهما^(١) أشدَّ الإرهاق، حتَّى باتا لا يطيقان الحياة في مكَّة.
ولما أذن الرَّسولُ صلوات الله وسلامه عليه للمسلمين بالهجرة إلى
«الحبشة»، كانت رملة بنت أبي سفيان وطفلتها الصَّغيرة حبيبة،
وزوجها عبيد الله بن جحش^(٢)، في طليعة المهاجرين إلى الله
بدينهم، الفارَّين إلى حمى «النَّجاشي»^(٣) بإيمانهم.

لكنَّ أبا سفيان بن حربٍ ومن معه من زعماء قريشٍ،
عزَّ^(٤) عليهم أن يفلت من أيديهم أولئك الثَّغر من المسلمين، وأن
يدوقوا طعم الرَّاحة في بلاد «الحبشة».
فأرسلوا رسلهم إلى النَّجاشيَّ يحرضونه^(٥) عليهم، ويطلبون منه
أن يسلمهم إليهم، ويذكرون له أنَّهم يقولون في المسيح وأُمَّه مريم
قولاً يسوؤُه^(١).

(١) ترهقهما: تعبهما وتعنيهما.

(٢) عبيد الله بن جحش: هو أخو الصحابي الجليل عبيد الله بن جحش ويُقال اسمه عبد
بن جحش.

(٣) النَّجاشي: ملك الحبشة، وقد سمع القرآن وآمن بالله ورسوله وآوى المسلمين انظره
في «صور من حياة التابعين» للمؤلف، الناشر دار الأدب الإسلامي.

(٤) عزَّ عليهم: صعب عليهم.

(٥) يحرضونه عليهم: يثيرونه عليهم.

فبعث النَّجَاشِيُّ إلى زعماء المهاجرين، وسألهم عن حقيقة دينهم، وعمَّا يقولونه في عيسى بن مريم وأمّه، وطلب إليهم أن يسمِّعوه شيئاً من القرآن الذي يتزل على قلب نبيِّهم. فلَمَّا أخبروه بحقيقة الإسلام، وتلوا عليه بعضاً من آيات القرآن، بكى حتَّى اخضَلَّتْ^(٢) لحيته وقال لهم: إنَّ هذا الذي أنزل على نبيِّكم مُحَمَّدٌ، والذي جاء به عيسى بن مريم يخرجان من مشكاة^(٣) واحدة. ثمَّ أعلن إيمانه بالله وحده لا شريك له، وتصديقه لنبوة مُحَمَّدٍ صلوات الله وسلامه عليه... كما أعلن حمايته لمن هاجر إلى أرضه من المسلمين على الرِّغم من أنَّ بطارقتَه^(٤) أبوا أن يسلموا، وظلُّوا على نصرانيَّتِهِم.

حسبت^(٥) أمُّ حبيبة بعد ذلك أنَّ الأيَّام صفت لها بعد طول عبوس... وأنَّ رحلتها الشَّاقَّة في طريق الآلام قد أفضت^(١) بها إلى واحة الأمان...

(١) يسوؤه: يؤذيه ويحزنه.

(٢) اخضَلَّتْ لحيته: تبللت لحيته.

(٣) المشكاة: ما يوضع عليه المصباح، (أي من مصدر نور واحد).

(٤) البطارقة: جمع بطريق وهو القائد.

(٥) حسبت أمُّ حبيبة: طُنَّت.

إذ لم تكن تعلم ما خبَّأتها لها المقادير...

فلقد شاء الله تباركت حكمته، أن يمتحن أمَّ حبيبة امتحاناً قاسياً
تطيش^(٢) فيه عقول الرجال ذوي الأحلام^(٣) وتتضعض أمامه أفهام
ذوي الأفهام.

وأن يخرجها من ذلك الإبتلاء الكبير ظافرةً تتربّع^(٤) على قمّة
النّجاح...

ففي ذات ليلةٍ أوت أمُّ حبيبة إلى مضجعها، فرأت فيما يراه النائم
أن زوجها عبيد الله بن جحش يتخبّط في بحرٍ لّحي^(٥) غشيته
ظلمات^(٦) بعضها فوق بعض، وهو بأسواً حال...
فهبت من نومها مدعورة^(٧) مضطربة...

ولم تشأ أن تذكر له أو لأحدٍ غيره شيئاً ممّا رأت...

(١) أفضت بها: انتهت بها وأوصلتها.

(٢) تطيش: تنوّه وتضل.

(٣) ذوو الأحلام: أصحاب العقول.

(٤) تتربّع: تجلس.

(٥) بحرٌ لّحي: بحر ذو لجج متلاطمة.

(٦) غشيته ظلمات: غطّته ظلماتٌ وأطبقت عليه.

(٧) هبت مدعورة: نهضت خائفة.

لكن رؤياها ما لبثت أن تحققت، إذ لم ينقض يوم تلك اللَّيلة المشؤومة^(١) حتَّى كان عبيد الله بن جحش، قد ارتدَّ عن دينه وتنصَّر...
 یرتوي منها ولا يشبع.

ثمَّ أكبَّ على حانات^(٢) الخمارين يُعاقر^(٣) أمَّ الخبائث^(٤) فلا
 وقد خيَّرها بين أمرين أحلاهما مُرٌّ:
 فإما أن تطلِّق...
 وإما أن تتنصَّر...

وجدت أمُّ حبيبة نفسها فجأةً بين ثلاثٍ:
 فإمَّا أن تستجيب لزوجها الذي جعل يُلحُّ في دعوتها إلى التَّنصُّر؛
 وبذلك ترتدُّ عن دينها - والعياذ بالله - وتبوء^(٥) بخزي الدُّنيا وعذاب
 الآخرة.
 وهو أمرٌ لا تفعله ولو مُشط لحمها عن عظمها بأمشاط من
 حديدٍ...

(١) الليلة المشؤومة: الليلة التعيسة.

(٢) حانات الخمارين: دكاكين الخمارين.

(٣) يعاقر الخمر: يلازمها ويدمن عليها.

(٤) أمَّ الخبائث: كناية عن الخمر، ودعيت بذلك لأنها أصل كل شر.

(٥) تبوء بخزي الدنيا: ترجع بعار الدنيا.

وإمّا أن تعود إلى بيت أبيها في مكّة، وهو ما زال قلعةً للشرك، فتعيش فيه مقهورةً مغلوبةً على دينها.

وإمّا أن تبقى في بلاد «الحبشة» وحيدةً، شريفةً، لا أهل لها ولا وطن ولا مُعين.

فآثرت^(١) ما فيه رضا الله عزّ وجلّ على ما سواه...

وأزمنت^(٢) على البقاء في «الحبشة» حتّى يأتي الله بفرج من عنده.

لم يطل انتظار أمّ حبيبة كثيراً.

فما إن انقضت عدّتها^(٣) من زوجها الذي لم يعيش بعد تنصّره إلّا قليلاً حتّى أتاها الفرج...

لقد جاءها السّعد يرفرف بأجنحته الزّمرديّة^(٤) الأخضر فوق بيتها المخزون على غير ميعاد...

ففي ذات ضحى مفضّض السّنا^(٥) طلق الحياء طرق عليها الباب؛ فلمّا فتحته فوجئت «بأبرهة» وصيفة^(٦) النّجاشيّ ملك «الحبشة».

(١) آثرت: فضّلت واختارت.

(٢) أزمنت: عزمت وقررت.

(٣) العدّة: المدّة المشروعة التي تقضيها المرأة بعد وفاة زوجها أو طلاقها منه.

(٤) الزمرديّة: نسبة إلى الزمرد، وهو حجر كريم أخضر اللون.

(٥) مفضّض السّنا: أي سناه فضي اللون والسّنا: الضوء.

(٦) وصيفة النجاشي: خادمتها الخاصّة.

فحيَّتها بأدب وبشر، واستأذنت بالدُّخول عليها وقالت:
 إِنَّ الملكَ يحْيِيكَ ويقول لك:
 إِنَّ مُحَمَّدًا رسولُ الله قد خطبك لنفسه...
 وإنَّه بعث إليه كتابًا وكلَّه فيه بأن يعقد له عليك ... فوكَّلي
 عنك من تشائين.

استطارت^(١) أمُّ حبيبة فرحاً، وهتفت:
 بشَّرَك الله بالخير... بشَّرَك الله بالخير...
 وطفقت تخلع ما عليها من الحلبيّ؛ فترعت سواريتها، وأعطتهما
 لأبرهة...
 ثمَّ ألحقتهما بخلخالها^(٢) ... ثمَّ أتبعَت ذلك بقرطيهما^(٣)
 وخواتيمها...
 ولو كانت تملك كنوز الدنيا كلَّها لأعطتها لها في تلك اللَّحظة.
 ثمَّ قالت لها: لقد وكَّلت عني خالد بن سعيد بن العاص^(٤)، فهو
 أقرب النَّاس إليَّ.

(١) استطارت فرحاً: كادت تطير من شدَّة الفرح.

(٢) الخلخال: ضربٌ من الحلبي تضعه المرأة في رجلها.

(٣) القرط: الخلق.

(٤) خالد بن سعيد بن العاص: انظره في كتاب «صور من حياة الصحابة» للمؤلف،
 الناشر دار الأدب الإسلامي، الطبعة المشروعة.

وفي قصر النَّجاشيِّ الرَّابض على رابيةٍ شجراً^(١) مطَّلّة على روضةٍ من رياض «الحبشة» التَّضرة.

وفي أحد أبنائه^(٢) الفسيحة المزدانة بالتُّقوش الزَّاهية، المضاءة بالسُّرُج^(٣) النُّحاسيَّة الوضّاءة، المفروشة بفاخر الرِّياش...اجتمع وجوه الصَّحابة المقيمين في «الحبشة»، وعلى رأسهم جعفر بن أبي طالب، وخالد بن سعيد بن العاص، وعبد الله بن حذافة السَّهميُّ^(٤)، وغيرهم لشهدوا عقد أمّ حبيبة بنت أبي سفيان على رسول الله ﷺ.

فلَمَّا اجتمع الجمع، تصدَّر النَّجاشيُّ المجلس وخطبهم فقال:

أحمد الله القدُّوس المؤمن العزيز الجَبَّار^(٥)، وأشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وأنَّه هو الذي بشر به عيسي بن مريم.

(١) رابية شجراً: رابية ذات شجر.

(٢) الأبناء: جمع بهو، وهو القاعة الواسعة.

(٣) السُّرُج: جمع سراج، وهو المصباح الذي يضاء بالزَّيت ونحوه.

(٤) انظرهم في كتاب «صور من حياة الصحابة» للمؤلف، الناشر دار الأدب الإسلامي، الطبعة المشروعة.

(٥) القدُّوس، المؤمن، العزيز، الجبار: من أسماء الله الحسنى.

أما بعد... فإنَّ رسول الله ﷺ طلب منِّي أن أزوجه أمَّ حبيبة بنت أبي سفيان، فأجبتَه إلى ما طلب، وأمهرتها نيابةً عنه أربعمئة دينار ذهباً...

على سنَّة الله ورسوله...

ثمَّ سكب الدنانير بين يدي خالد بن سعيد بن العاص.

وهنا قام خالد فقال:

الحمد لله أحمدُه وأستعينه، واستغفره، وأتوب إليه، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله، أرسله بدين الهدى والحق ليظهره^(١) على الدِّين كله ولو كره الكافرون.

أما بعد...

فقد أجبت طلب رسول الله ﷺ، وزوجته موكلتي أمَّ حبيبة بنت أبي سفيان.

فبارك الله لرسوله بزوجه...

وهنيئاً لأمِّ حبيبة بما كتب الله لها من الخير.

ثمَّ حمل المال وهمَّ أن يمضي به إليها؛ فقام أصحابه لقيامه وهموا بالانصراف أيضاً.

فقال لهم النَّجاشيُّ: اجلسوا فإنَّ سنَّة الأنبياء إذا تزوجوا أن يُطعموا طعاماً.

(١) ليظهره: ليحمله غالباً قوياً ظاهراً.

ودعا لهم بطعام فأكل القوم ثم انفضوا^(١).

قالت أم حبيبة:

فلما وصل المال إليَّ أرسلت إلى «أبرهة» التي بشرتني خمسين مثقالاً^(٢) من الذهب؛ وقلت:

إنِّي كنت أعطيتك ما أعطيت حين بشرتني، ولم يكن عندي يومئذٍ مالٌ...

فما هو إلا قليلٌ حتَّى جاءت «أبرهة» إليَّ وردَّت الذهب، وأخرجت حقاً^(٣) فيه الحلْيُ الذي كنت أعطيتها إياه فردَّته إليَّ أيضاً وقالت:

إنَّ الملك قد عزم عليَّ ألاَّ آخذ منك شيئاً.

وقد أمر نساءه أن يبعثن لك بكلِّ ما عندهن من الطيب.

فلما كان الغد جاءتني بورس^(٤)، وعود^(٥) وعنبر، ثمَّ قالت لي:

إنَّ لي عندك حاجةً

فقلت: وما هي؟!.

(١) انفضوا: تفرَّقوا.

(٢) المثقال: ما يوزن به الذهب ونحوه.

(٣) الحق: بضم الحاء وعاء الطيب.

(٤) بورس: نباتٌ أصفرٌ يتَّخذ منه الزعفران.

(٥) العود: ضربٌ من الطيب يتبخَّر به.

فقالت:

لقد أسلمت، وأتبع دين محمدٍ، فاقرئي على النبيِّ منِّي السَّلام
وأعلميه أنَّي آمنت بالله ورسوله ولا تنسي ذلك...
ثمَّ جهَّزني^(١).

ثمَّ إنَّني حملت إلى رسول الله ﷺ...
فلمَّا لقيته، أخبرته بما كان من أمر الخطبة، وما فعلته مع «أبرهة»
وأقرأته منها السَّلام.
فسرَّ بخبرها وقال:
(وعليها السَّلام ورحمة الله وبركاته)^(*).

(١) جهَّزني: أعدت لي جهازي.

(*) للاستزادة من أخبار رملة بنت أبي سفيان انظر:

- ١- الإصابة: ٣٠٥/٤ «الترجمة»: ٣٠٣/٤
- ٢- الاستيعاب: «على هامش الإصابة»: ٣٠٣/٤
- ٣- أسد الغابة: ٤٥٧/٥
- ٤- صفوة الصفوة: ٢٢/٢
- ٥- المعارف لابن قتيبة: ١٣٦، ٣٤٤٠
- ٦- سير أعلام النبلاء.
- ٧- مرآة الجنان لليافعي.
- ٨- السيرة النبوية لابن هشام: «انظر الفهارس».
- ٩- تاريخ الطبري: «انظر الفهارس في العاشر».
- ١٠- طبقات ابن سعد: «انظر الفهارس في الثامن».

الْغَمِيصَاءُ بِنْتُ مِلْحَانَ
 الْمَكْنَأَةُ بِأُمِّ سُلَيْمٍ
 «مَا سَمِعْنَا بِامْرَأَةٍ قَطُّ كَانَتْ أَكْرَمَ مَهْرًا مِنْ أُمِّ سُلَيْمٍ؛ إِذْ كَانَ
 مَهْرُهَا الْإِسْلَامُ»

[أَهْلُ الْمَدِينَةِ]

كانت الغميصاء بنت ملحان - حين أهل الإسلام بنوره على الأرض - نصفاً تخطو نحو الأربعين من عمرها، وكان زوجها مالك بن النضر يسبغ عليها من وارف^(١) حبه، وظليل وداده ما ملأ حياتها نضرة^(٢) ورغداً^(٣) وكان أهل «يثرب» يغبطون الزوج السعيد على ما تتحلّى به عقيلته من راحة العقل، وبعد النظر، وحسن التبعل^(٤).

١١- تهذيب التهذيب لابن حجر: ١٢/٤١٩.

١٢- حياة الصحابة: «انظر الفهارس».

١٣- أعلام النساء لكحالة: ١/٤٦٤.

(١) وارف حبه: ظلال حبه الممتدة.

(٢) النضرة: الرونق واللفظ والبهجة والبهاء.

(٣) رغداً: الرغد العيش الواسع الطيب الذي لا تعب فيه.

(٤) التبعل: أداء حق الزوج بالطاعة والإحسان.

وفي ذات يومٍ من أيَّام الله الخالدة نفذ إلى «يثرب» - مع الدَّاعية المكيِّ مصعب بن عمير^(١) - أوَّل شعاعٍ من أشعة الهداية المحمَّديَّة، فتفتَّح له قلب الغميصاء كما تتفتَّح أزاهير الرِّياض لتباشير الصُّباح، فلمَّا لبثت أن أعلنت إسلامها يوم كان المسلمون - في المدينة - يعدُّون على الأصابع.

ثمَّ دعت الزَّوجة الوفيَّة زوجها الأثير لينهل معها من هذا المنهل الإلهيِّ العذب الطَّهور، ويحظى بما حظيت به من سعادة الإيمان... لكنَّ مالك بن النَّضر لم يشرح للدين الجديد صدرًا، ولا طاب به نفسًا، بل إنَّه دعا زوجه بالمقابل إلى الرُّجوع عن الإسلام والعودة إلى دين الآباء والأجداد وتشبَّث كلُّ من الزَّوجين بموقفه، فالغميصاء تكره أن تعود إلى الكفر بعد الإيمان كما يكره المرء أن يقذف في النَّار...

ومالكٌ يتعصَّب لدين الآباء والأجداد في عنادٍ... وكانت الغميصاء تملك من قوَّة الحجَّة ما تفحم^(٢) به زوجها، وكان في دعوتها من نور الحقِّ ما يفضح باطله الواهي^(٣) المتهافت^(١)...

(١) مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف القرشي: أحد السابقين إلى الإسلام،

وأوَّل المبشرين به خارج مكَّة، استشهد يوم «أحد» .

(٢) ما تُفحم: ما تسكت به زوجها من الدليل والبرهان.

(٣) الواهي: الضعيف الذي لا قوام له.

وكان للمالكِ صنمٌ من خشبٍ يعبدُه من دون الله، فكانت تحاجُّه في أمره قائلةً:

أتعبد جذع شجرةٍ نبت في الأرض التي تطؤها بقدميك، وترمي فيها فضلاتك؟!...!

أتدعو- من دون الله- خشبةً نجرتها لك حبشيٌّ من صنَّاع المدينة؟!..!

ولما ضاق الزوجُ ذرعاً بحجج زوجته الدَّامغة^(٢) غادر المدينة ومضى هائماً على وجهه متَّجهاً نحو بلاد الشام، ثمَّ إنه لم يلبث هناك قليلاً حتَّى مات على شركه.

وما إن شاع في المدينة خبر ترمُل الغميصاء حتَّى تشوق كثيرٌ من الرِّجال إلى الإقتران بها، لولا أنَّهم كانوا يخشون أن تردَّهم خائبين لما بينها وبينهم من الاختلاف في الدِّين.

غير أنَّ زيد بن سهل^(٣) المكنى بأبي طلحة أطمعه في رضاها به ما كان بينهما من روابط القربى، فكلاهما من بني «النَّجَّار».

(١) المتهافت: المتساقط المتداعي.

(٢) الدَّامغة: التي لا يجد الخصم عنها حولاً.

(٣) زيد بن سهل: انظره في كتاب «صور من حياة الصحابة» للمؤلف، الناشر دار الأدب الإسلامي، الطبعة المشروعة.

مضى أبو طلحة إلى بيت الغميصاء وخاطبها بكينيتها قائلاً:
يا أمّ سليم، لقد جئتُك خاطباً، فأرجو ألاّ أردّ خائباً.
فقالت: والله ما مثلك يرُدُّ يا أبا طلحة، ولكِنَّك رجلٌ كافرٌ وأنا
امرأةٌ مسلمةٌ، ولا يحل لي أن أتزوَّجك، فإن تسلم فذاك مهري ولا
أريد منك صداقاً غير الإسلام.

فقال: دعيني حتّى أنظر في أمري. ومضى...
ولمّا كان الغد عاد إليها وقال: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وحده لا
شريك له، وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله.
فقالت: أما وإنّك قد أسلمت، فقد رضيتك زوجاً... فجعل
النّاس يقولون: ما سمعنا بامرأة قط كانت أكرم مهراً من أمّ سليم إذ
كان مهرها الإسلام.

نعم أبو طلحة بما كانت تتحلّى به أمّ سليم من كريم الشّمائل^(١)،
ونبيل الخصال، ثمّ زاده سعادةً بها أنّها وضعت له غلاماً غدا قرّة
عينه، وفرحة قلبه.
لكنّه بينما كان يتأهّب لسفر من أسفاره اشتكى الطّفّل الصّغير
من علّة أَلَمّت به، فجزع عليه جزعاً شديداً كاد يصرفه عن السّفر.

(١) كريم الشّمائل: ذو خصال كريمة حميدة.

وفي غيبته القصيرة ذوى^(١) الغصن النَّضير^(٢)، ثمَّ وُري الثرى^(٣)،
فقالَت أمُّ سليمٍ لأهلها:
لا تخبروا أبا طلحة بموت ابنه حتَّى أخبره أنا.

عاد أبو طلحة من رحلته فتلقته أمُّ سليمٍ هاشَّةً باشَّةً فرحةً
مستبشرةً؛ فبادرها بالسُّؤال عن الصَّبِيِّ فقالت:
دعه فإنَّه الآن أسكن ما عرفته.
ثمَّ قربت إليه العشاء، وجعلت تؤنسه وتدخل على قلبه السرور،
فلمَّا وجدت أنَّه شبع واستراح قالت له:
يا أبا طلحة أرايت لو أن قوماً استرجعوا عاريةً^(٤) أعاروها
لآخرين أفمن حقَّهم أن يخطوا عليهم أن يمنعوها منهم؟.
قال: لا.

قالت: إن الله استردَّ منك ما وهب، فاحتسب ولدك عنده...
فتلقى أبو طلحة قضاء الله بالرِّضا والتَّسليم.
ولما أصبح غدا على رسول الله ﷺ وحَدَّثه بما كان من أمِّ سليمٍ،
فدعا له ولها بأن يعوّضهما الله خيراً ممَّا فقداه، وأن يبارك لهما في

(١) ذوى: ذبل وضعف.

(٢) النَّضير: الحسن الجميل.

(٣) ووري الثرى: دفن في التراب.

(٤) عاريةً: الشئ المستعار الذي يجب رده.

العوض؛ فاستجاب الله جل وعز دعاء نبيه ﷺ، وحملت أم سليم، ولما أتمت حملها كانت عائدةً إلى المدينة من سفر هي وزوجها مع رسول الله ﷺ.

فلما دنوا من «يثرب» جاءها المخاض فتوقَّف أبو طلحة معها ومضى النَّبيُّ الكريم ﷺ يريد دخول المدينة قبل أن يجنَّ عليه الليل، فرفع أبو طلحة طرفه إلى السَّماء وقال:

إِنَّكَ لتعلم يا رب أَنَّهُ يعجبني أن اخرج مع رسولك إذا خرج، وأن أدخل معه إذا دخل وقد منعني من ذلك ما ترى.

فقالت له أم سليم: يا أبا طلحة إني - والله - لا أجد من ألم المخاض بهذا المولود ما كنت أجد من قبل، فانطلق بنا ولا تتأخَّر عن صحبة رسول الله ﷺ.

فانطلقا حتَّى إذا بلغا المدينة وضعت حملها، فإذا هو غلامٌ، فقالت لمن حولها:

لا يرضعه أحد قبل أن تذهبوا به إلى رسول الله ﷺ.

فلما أصبح حملة إليه أخوه أنس بن مالك^(١)، فلما رآه النَّبيُّ ﷺ مقبلاً قال:

(لعل أمَّ سليمٍ ولدت).

(١) أنس بن مالك: انظره في كتاب «صور من حياة الصحابة» للمؤلف، الناشر دار الأدب الإسلامي، الطبعة المشروعة.

فقال: نعم يا رسول الله ... ووضع الغلام في حجره، فدعا بعجوة من عجو المدينة ولاكها في فمه الشريف حتَّى ذابت، ووضعها في فم الصَّبِيِّ، فجعل يتلمظها^(١)، ثم مسح وجهه بيده الكريمة، وسَمَّاه عبد الله، فجاء من صلبة عشرة من علماء الإسلام الأخيار.

ولقد كان من شأن أمِّ سليم أنها أَحَبَّت رسول الله صلوات الله وسلامه عليه حبًّا خالط منها اللحم والعظم، وسكن في حبة القلب.

وقد بلغ من حبِّها له ما حدَّث عنه ابنها أنسٌ قال: كان رسول الله ﷺ نائماً في بيتنا ذات نهار؛ وكان الحرُّ شديداً، فأخذ العرق يتصبَّب من جبينه، فجاءت أمِّي بقارورة، وجعلت تُسَلِّت فيها العرق فاستيقظ النَّبِيُّ عليه الصَّلَاة والسَّلام وقال: (ما هذا الذي تصنعين يا أمَّ سليم؟!).

قالت: هذا عرقك أجمعه وأجعله في طيننا، فيغدو أطيب الطَّيب. ومن شواهد حبِّها لرسول الله صلوات الله وسلامه عليه وهي كثيرةٌ وفيرةٌ، أن ابنها أنساً كانت له ذُؤَابَةٌ^(٢) تنوس^(٣) على جبينه،

(١) يتلمظُها: أي يتتبع بلسانه بقيتها ويمسح به شفّتيه.

(٢) الذُؤَابَةُ: خصلة من الشعر في مقدمة الرأس.

(٣) تنوس: تتمايل.

فرغب إليها زوجها أن تقصَّها له بعد أن طالت فأبت ذلك؛ لأنَّ النَّبيَّ صلوات الله وسلامه عليه كان كلَّما أقبل عليه أنسٌ مسح رأسه بيده ومسَّ ذؤابته المدلَّاة على جبينه.

ولم تقتصر خصائل أمِّ سليم على أنَّها كانت مؤمنةً راسخة الإيمان، عاقلةً وافرة العقل، زوجاً وأماً من الطراز الأول... وإنما كانت فوق ذلك كلِّه مجاهدة في سبيل الله. فلکم ملأت رثيها من غبار المعارك العبق^(١) بطيوب الجنة!! وخضبت^(٢) أناملها من جراح المجاهدين، وهي تمسحها بيديها وتحكم عليها الضماد^(٣). ولكم سكبت الماء في حلوق العطاش وهم يجودون بنفوسهم في سبيل الله...

وحملت لهم الزَّاد ... وأصلحت السَّهام. لقد شهدت «أُحُدًا» هي وزوجها أبو طلحة مع رسول الله ﷺ، ودأبت هي وعائشة رضوان الله عليهما على نقل قرب الماء على ظهريهما وإفراغها في أفواه القوم.

(١) العبق: المضمخ بالطيب.

(٢) خضبت: لونت، والخضاب: هو الحناء.

(٣) الضماد: ما يربط به الجرح.

كما شهدت «حنينا» أيضاً، وقد اتخذت لنفسها يومذاك خنجراً وتمنطقت به، فلما رآه زوجها أبو طلحة قال: يا رسول الله، هذه أمُّ سليم معها خنجرٌ.

فقال لها النبيُّ عليه الصَّلَاة والسَّلَام:

(ما هذا يا أمَّ سليم؟!).

قالت: خنجرٌ اتَّخذته حتَّى إذا دنا مِنِّي أحدٌ من المشركين بقرت^(١) به بطنه ...

فجعل رسول الله ﷺ يضحك سروراً بما قالت.

وبعد...

أفتظنُّ أن على ظهر الأرض امرأةً أسعد سعادةً وأزهى خاتمةً من أمَّ سليم بعد أن قال فيها رسول الله ﷺ:

(دخلت الجنة فسمعت فيها خشفة^(٢)) ...

فقلت: من هذا؟!.

قالوا:

الغميصاء بنت ملحان أمُّ أنس بن مالك^(*).

(١) بقرتُ بطنه: شقت بطنه.

(٢) خشفة: حركة مشي.

(*) للاستزادة من أخبار الغميصاء بنت ملحان انظر:

أُمُّ سَلَمَةَ

- ١- الطبقات الكبرى ١/٤٦٧، ٤٠٧/٢ و ١١٦/٣ و ٥١٥/٧ و ١٩/٨ و ١٧٤/٨، ١٢١، ١٠٤، ٨.
- ٢- تاريخ الطبري: ٢/٢١، ٧٦ «وانظر الفهارس في العاشر» .
- ٣- حياة الصحابة: «انظر الفهارس في الرابع» .
- ٤- السيرة لابن هشام: ٢/٣٥٤-٤/٨٨.
- ٥- سير أعلام النبلاء: ٢/٣٠٤-٣١١.
- ٦- المعارف لابن قتيبة: ٣٠٨، ٣٧١.
- ٧- أعلام النساء لكحالة: ٢/٢٥٦.
- ٨- تهذيب التهذيب: ١٢/٤٧١.
- ٩- الإصابة: ٤/٤٦١ «الترجمة»، ١٣٢١.
- ١٠- الاستيعاب «على هامش الإصابة»: ٤/٤٥٥.
- ١١- حلية الأولياء: ٢/٥٧.
- ١٢- صفة الصفوة: ٢/٦٥.
- ١٣- أسد الغابة: ٧/٢١٢.
- ١٤- المحبر: ٤٢٨.

أَيُّمُ الْعَرَبِ

«لَمْ تَبْقَ هِنْدُ الْمَخْزُومِيَّةُ أُمَّاً لِسَلْمَةَ وَحَدَهُ، وَإِنَّمَا غَدَتْ أُمَّاً

لِجَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ»

أُمُّ سَلْمَةَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا أُمُّ سَلْمَةَ؟!.

أُمَّا أَبُوهَا فَسَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِ «مَخْزُومٍ» الْمَرْمُوقِينَ، وَجَوَادٌ مِنْ أَجْوَادِ الْعَرَبِ الْمَعْدُودِينَ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يُقَالُ لَهُ: «زَادَ الرَّكَّابُ»^(١)، لِأَنَّ الرُّكَّابَانَ كَانَتْ لَا تَتَزَوَّدُ إِذَا قَصَدَتْ مَنَازِلَهُ أَوْ سَارَتْ فِي صَحْبَتِهِ.

وَأُمَّا زَوْجَهَا فَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْإِسْدِ أَحَدُ الْعَشْرَةِ السَّابِقِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ؛ إِذْ لَمْ يَسْلَمْ قَبْلَهُ إِلَّا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَنَفَرٌ قَلِيلٌ لَا يَبْلُغُ أَصَابِعَ الْيَدَيْنِ عَدَدًا.

وَأُمَّا اسْمُهَا فَهِنْدٌ، لَكِنَّا كُنَيْتُ بِأُمِّ سَلْمَةَ، ثُمَّ غَلَبَتْ عَلَيْهَا الْكُنْيَةُ.

أَسْلَمَتْ أُمُّ سَلْمَةَ مَعَ زَوْجِهَا فَكَانَتْ هِيَ الْآخَرَى مِنْ السَّابِقَاتِ إِلَى الْإِسْلَامِ أَيْضًا.

وَمَا إِنْ شَاعَ نَبَأُ إِسْلَامِ أُمِّ سَلْمَةَ وَزَوْجِهَا حَتَّى هَاجَتْ قَرِيشٌ وَمَاجَتْ وَجَعَلَتْ تَصُبُّ عَلَيْهِمَا مِنْ نِكَالِهَا^(٢) مَا يَزِلُّ الصُّمَّ الصَّلَابَ^(١)، فَلَمْ يَضْعُفَا وَلَمْ يَهِنَا وَلَمْ يَتَرَدَّدا.

(١) هُوَ أَبُو أُمَيَّةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ الْقُرَشِيُّ.

(٢) النِّكَالُ: الْأَذَى الشَّدِيدُ الَّذِي يُجْعَلُ الْمَصَابُ بِهِ عِبْرَةٌ لغيره.

ولما اشتد عليهما الأذى وأذن الرسول صلوات الله عليه لأصحابه بالهجرة إلى «الحبشة» كانا في طليعة المهاجرين.

مضت أم سلمة وزوجها إلى ديار الغربة وخلفت وراءها في مكة بيتها الباذخ^(٢) وعزَّها الشامخ، ونسبها العريق، محتسبة^(٣) ذلك كله عند الله، مستقلة له في جنب مرضاته.

وعلى الرغم مما لقيته أم سلمة وصحبها من حماية النجاشي^(٤) نصَّر الله في الجنة وجهه، فقد كان الشوق إلى مكة مهبط الوحي، والحنين إلى رسول الله ﷺ مصدر الهدى يفري كبدها وكبد زوجها فرجاً.

ثم تابعت الأخبار على المهاجرين إلى أرض «الحبشة» بأن المسلمين في مكة قد كثر عددهم، وأنَّ إسلام حمزة بن عبد المطلب، وعمر بن الخطَّاب قد شدَّ من أزرهم^(٥)، وكفَّ شيئاً من أذى

(١) الصم الصَّلاب: الصخور القاسية.

(٢) الباذخ: العالي الرفيع.

(٣) محتسبة: طالبة الجزاء من الله.

(٤) النجاشي: ملك الحبشة انظره في كتاب «صور من حياة التابعين» للمؤلف، الناشر دار الأدب الإسلامي.

(٥) شدَّ أزرهم: قوَّاهم.

قريش عنهم، فعزم فريق منهم على العودة إلى مكّة، يحذوهم^(١) الشّوق ويدعوهم الحنين...
فكانت أمّ سلمة وزوجها في طليعة العائدين.

لكن سرعان ما اكتشف العائدون أن ما نمي إليهم من أخبار كان مبالغاً فيه، وأنّ الوثبة التي وثبها المسلمون بعد إسلام حمزة وعمر، قد قوبلت من قريش بهجمةٍ أكبر.
فافتنّ المشركون في تعذيب المسلمين وترويعهم، وأذاقوهم من بأسهم ما لا عهد لهم به من قبل.
عند ذلك أذن الرّسول صلوات الله وسلامه عليه لأصحابه بالهجرة إلى المدينة، فعزمت أمّ سلمة وزوجها على أن يكونا أوّل المهاجرين فراراً بدينهما وتخلّصاً من أذى قريش.
لكنّ هجرة أمّ سلمة وزوجها لم تكن سهلةً ميسرةً كما خيّل لهما، وإنما كانت شاقةً مرّةً خلّفت وراءها مأساةً تهون دونها كلّ مأساةٍ.

فلنترك الكلام لأمّ سلمة لتروي لنا قصّة مأساتها...
فشعورها بها أشدّ وأعمق، وتصويرها لها أدقّ وأبلغ.
قالت أمّ سلمة:

(١) يحذوهم الشوق: يسوقهم الشوق.

لما عزم أبو سلمة على الخروج إلى المدينة أعدَّ لي بغيراً، ثمَّ حملني عليه، وجعل طفلنا سلمة في حجرِي، ومضى يقود بنا البعير وهو لا يلوي^(١) على شيءٍ.

وقبل أن نفصل^(٢) عن مكَّة؛ رأنا رجالاً من قومي بني «مخزوم» فتصدَّوا لنا وقالوا لأبي سلمة:

إن كنت قد غلبتنا على نفسك، فما بال امرأتك هذه؟!...

وهي بنتنا، فعلام نتركك تأخذها منَّا وتسير بها في البلاد؟!.

ثمَّ وثبوا عليه، وانتزعوني منه انتزاعاً.

وما إن رآهم قوم زوجي بنو «عبد الأسد» يأخذونني أنا وطفلي، حتَّى غضبوا أشدَّ الغضب وقالوا:

لا والله لا نترك الولد عند صاحبكم بعد أن انتزعتموها من صاحبنا انتزاعاً...

فهو ابننا ونحن أولى به.

ثمَّ طفقوا يتجاذبون طفلي سلمة بينهم على مشهدٍ مني حتَّى خلعوا يده وأخذوه.

وفي لحظات وجدت نفسي ممزقة الشمل وحيدةً فريدةً:

فزوجي اتَّجه إلى المدينة فراراً بدينه ونفسه...

(١) لا يلوي على شيء: لا يقف عند شيء ولا ينتظر.

(٢) قبل أن نفصل عن مكَّة: قبل أن نخرج منها.

وولدي اختطفه بنو «عبد الأسد» من بين يديَّ محطماً
مهيضاً^(١)...

أما أنا فقد استولى عليَّ قومي بنو «مخزوم»، وجعلوني عندهم
...

ففرَّق بيني وبين زوجي وبين ابني في ساعة.
ومنذ ذلك اليوم جعلت أخرج كلَّ غادة إلى الأبطح، فأجلس في
المكان الذي شهد مأساتي، وأستعيد صورة اللحظات التي حيل فيها
بيني وبين وولدي وزوجي، وأظلُّ أبكي حتَّى يُخَيِّم عليَّ اللَّيل.
وبقيت على ذلك سنةً أو قريباً من سنةٍ إلى أن مرَّ بي رجلٌ من
بني عمي فرقَّ لحالي ورحمني وقال لبني قومي:
«ألا تطلقون هذه المسكينة!! فرقتم بينها وبين زوجها وبين
ولدها.

وما زال بهم يستلين قلوبهم ويستدرُّ عطفهم حتَّى قالوا لي:
الحقي بزوجك إن شئت.
ولكن كيف لي أن ألحق بزوجي في المدينة وأترك ولدي وفلذة^(٢)
كبدِي في مكَّة عند بني «عبد الأسد»؟!.
كيف يمكن أن تهدأ لي لوعةٌ أو ترقأ لعيني عبرة^(١) وأنا في دار
الهجرة وولدي الصَّغير في مكَّة لا أعرف عنه شيئاً؟!.

(١) مهيضاً: ممزقاً مكسراً.

(٢) فلذة كبدِي: قطعة كبدِي.

ورأى بعض النَّاس ما أعالج^(٢) من أحزاني وأشجاني فرقت قلوبهم لحالي، وكلّموا بني «عبد الأسد» في شأني^(٣) واستعطفوهم عليّ... فردُّوا لي ولدي سلمة.

لم أشأ أن أترى في مكّة حتّى أجد من أسافر معه، فقد كنت أخشى أن يحدث ما ليس بالحسبان فيعوقني عن اللّحاق بزوجي عائق... عائق...

لذلك بادرت فأعددت بعيري، ووضعت ولدي في حجري، وخرجت متوجهةً نحو المدينة أريد زوجي، وما معي أحدٌ من خلق الله.

وما إن بلغت «التّنعيم»^(٤) حتّى لقيت عثمان بن طلحة^(٥) فقال: إلى أين يا بنت «زاد الرّأكب»؟! فقلت: أريد زوجي في المدينة. قال: أو ما معك أحدٌ؟!.

(١) ترفاً لعيبي: تجف لعيبي دمة.

(٢) أعالج: أعاني.

(٣) في شأني: في أمري.

(٤) التّنعيم: مكان على ثلاثة أميال من مكّة.

(٥) عثمان بن طلحة: كان حاجب بيت الله في الجاهلية، أسلم مع خالد ابن الوليد وشهد فتح مكّة، فدفع إليه الرّسول عليه الصّلاة والسّلام مفتاح الكعبة وكان يوم رافق أم سلمة مشركاً.

قلت: لا والله إلا الله ثم بُني هذا.
 قال: والله لا أتركك أبداً حتَّى تبلغي المدينة.
 ثم أخذ بخطام^(١) بعيري، وانطلق يهوي بي...
 فوالله ما صحبت رجلاً من العرب قطُّ أكرم منه ولا أشرف،
 كان إذا بلغ منزلاً من المنازل ينيخ بعيري، ثم يستأخر عني، حتَّى
 إذا نزلت عن ظهره واستويت على الأرض دنا إليه وحطَّ عنه
 رحله، واقتاده إلى شجرة وقَّده فيها.
 ثمَّ يتنحى عني إلى شجرة أخرى فيضطجع في ظلِّها.
 فإذا حان الرَّواح إلى بعيري فأعدّه، وقدمه إليّ، ثمَّ يستأخر عني
 ويقول: اركبي ... فإذا ركبت، واستويت على البعير، أتى فأخذ
 بخطامه وقاده.

وما زال يصنع بي مثل ذلك كلَّ يوم حتَّى بلغنا المدينة، فلمَّا
 نظر إلى قريةٍ «بقباء»^(٢) لبني عمرو بن عوفٍ قال: زوجك في هذه
 القرية، فادخليها على بركة الله، ثمَّ انصرف راجعاً إلى مكَّة.

(١) الخطام: حبلٌ يجعل في عنق البعير ليقاد به.

(٢) قُباء: قرية في ضواحي المدينة تبعد عنها ميلين، وفيها مسجد قباء أوَّل مسجد أسس على التقوى.

اجتمع الشَّمل الشَّتيت^(١) بعد طول افتراق، وقرَّت عين أمِّ سلمة سلمة بزوجها، وسعد أبو سلمة بصاحبته وولده... ثم طفقت الأحداث تمضي سراعاً كلمح البصر. فهذه «بدر» يشهدا أبو سلمة ويعود منها مع المسلمين، وقد انتصروا نصراً مؤزرًا^(٢).

وهذه «أُحُدٌ» يخوض غمارها بعد «بدر»، ويُلي فيها أحسن البلاء وأكرمها، لكنَّه يخرج منها وقد جرح جرحاً بليغاً، فما زال يعالجه حتَّى بدا له أنَّه قد اندمل^(٣)، لكنَّ الجرح كان قد رُمَّ على فسادٍ^(٤) فما لبث أن انتكأ^(٥) وألزم أبا سلمة الفراش. وفيما كان أبو سلمة يعالج من جرحه قال لزوجته: يا أم سلمة، سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(لا تصيب أحداً مصيبة، فيسترجع^(٦) عند ذلك ويقول: اللهمَّ عندك احتسبت مصيبي هذه... اللهمَّ أخلفني خيراً منها، إلَّا أعطاه الله عزَّ وجلَّ...).

(١) الشَّتيت: المفرَّق.

(٢) مؤزرًا: قوياً مبيناً.

(٣) اندمل: تماثل للشفاء.

(٤) رم الجرح على فساد: يعني صلح في الظاهر وهو فاسد في الحقيقة.

(٥) انتكأ: انفتح.

(٦) يسترجع: يقول إنَّا لله وإنا إليه راجعون.

ظلَّ أبو سلمة على فراش مرضه أيَّاماً ... وفي ذات صباح جاءه رسول الله ﷺ ليعودده، فلم يكد ينتهي من زيارته ويجاوز باب داره، حتَّى فارق أبو سلمة الحياة. فأغمض النَّبيُّ عليه الصَّلَاة والسَّلَام بيديه الشريفتين عيني صاحبه، ورفع طرفه إلى السَّماء وقال:

(اللَّهمَّ اغفر لأبي سلمة، وارفع درجته في المقرَّبين

واخلفه في عقبه^(١) في الغابرين.

واغفر لنا وله يا ربَّ العالمين...

وأفسح له في قبره، ونور له فيه).

أمَّا أمُّ سلمة فتذكرت ما رواه لها أبو سلمة عن رسول الله ﷺ فقالت:

اللَّهمَّ عندك أحسب مصيبي هذه...

لكنَّها لم تطب نفسها أن تقول: اللَّهمَّ أخلفني^(٢) فيها خيراً منها؛ لأنَّها كانت تتساءل: ومن عساه أن يكون خيراً لي من أبي سلمة؟!.

لكنَّها ما لبثت أن أتمَّت الدعاء ...

(١) اخلفه في عقبه: كن عوضاً عنه لأولاده وأهله.

(٢) اخلفني فيها خيراً منها: عوضني عنها ما هو خير منها.

حزن المسلمون لمصاب أم سلمة كما لم يحزنوا لمصاب أحدٍ من قبل ...

وأطلقوا عليها اسم «أيم»^(١) العرب ...
إذ لم يكن لها في المدينة أحد من ذويها غير صبية صغار كزغب القطا^(٢).

شعر المهاجرون والأنصار معاً بحق أم سلمة عليهم، فما كادت تنتهي من حدادها على أبي سلمة حتَّى تقدم منها أبو بكر الصديق يخطبها لنفسه، فأبت أن تستجيب لطلبه...
ثمَّ تقدَّم منها عمر بن الخطَّاب؛ فردَّته كما ردَّت صاحبه...
ثمَّ تقدَّم منها رسول الله ﷺ فقالت له:
يا رسول الله، إنَّ فيَّ خِلالاً^(٣) ثلاثاً:
فأنا امرأةٌ شديدة الغيرة فأخاف أن ترى مِنِّي شيئاً يغضبك فيعذبني الله به.
وأنا امرأةٌ قد دخلت في السنِّ^(٤).

(١) الأيم: المرأة التي فقدت زوجها.

(٢) كزغب القطا: كفراخ القطا التي لم ينبت ريشها، والقطا: نوع من اليمام يؤثر في الصحراء مفردة قطاة.

(٣) خِلالاً: صفات.

(٤) دخلت في السن: جاوزت سنَّ الزواج.

وأنا امرأة ذات عيال.
فقال عليه الصَّلَاة والسَّلَام:
وأما ما ذكرت من غيرتك فإنِّي أدعو الله عزَّ وجلَّ أن يذهبها
عنك.

وأما ذكرت من السنِّ فقد أصابني مثل الذي أصابك...
وأما ما ذكرت من العيال، فإنَّما عيالك عيالي).
ثمَّ تزوج رسول الله ﷺ من أمِّ سلمة؛ فاستجاب الله دعاءها،
وأحلفها خيراً من أبي سلمة.
ومنذ ذلك اليوم لم تبق هند المخزوميَّة أمًّا لسلمة وحده؛ وإنما
غدت أمًّا لجميع المؤمنين.
نظرَ الله وجه أمِّ سلمة في الجنَّة ورضي عنها وأرضاها^(*).

(*) للاستزادة من أخبار أمِّ المؤمنين أمِّ سلمة رضي الله عنها انظر:

١- الإصابة: ٤/٤٥٨ «الترجمة»، ١٣٠٩

٢- الاستيعاب «على هامش الإصابة»: ٤/٤٥٤،

٣- تهذيب التهذيب: ١٢/٤٥٥-٤٦٥،

٤- تاريخ الإسلام للذهبي: ٣/٩٧-٩٨،

٥- البداية والنهاية: ٨/٢١٤-٢١٥،

٦- صفة الصفوة: ٢/٢٠-٢١،

٧- شذرات الذهب: ١/٦٩-٧٠،

٨- أسد الغابة: ٢/٥٨٨-٥٨٩،

٩- تقريب التهذيب: ٢/٦٢٧،

١٠- الأعلام مراجعه: ٩/١٠٤،

صور من حياة الصحابيَّات

هذا الكتاب يجوب بنا في رحاب حياة المرأة المسلمة التي عاشت في كنف الرّسول الكريم ﷺ من خلال صور متعددة تعبر عن المنهج الإسلامي القويم الذي وضع لإلّس لحقوق المرأة وواجباتها... فتحت ظله بايعة على ما بايع عليه الرجال، ورسمت أسمى معاني البذل والعطاء في سبيل ذلك، ولم تقتصر خصائل المرأة المسلمة على أنّها مؤمنة راسخة إيمان وزوجا وأما من الطراز الأوّل، ربت فأحكمت وأصيبت فاحتسبت بل كانت فوق ذلك كله مجاهدة في سبيل الله فخاضت المعارك وضمّدت الجراح، وحملت الزاد وأصلحت السهام، وسكبت الماء في حلوق العطاش وهم يحدون بنفوسهم في سبيل الله.

إنّما حياة المرأة المسلمة بكل ما فيها من سمو وفخار.